



السنة الثانية عشرة
جمادى الثاني ١٤٣٨هـ / (مارس - أبريل) ٢٠١٧م

دورية تصدر كل شهرين
www.hiragate.com
مجلة علمية ثقافية أدبية

59

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | March - April 2017

الحبل المبروم

كم تَمَنَيْتُ وحلمتُ أن أرى،
شَتَيْتُ إنساننا مجموعاً مبروماً،
ببعضه قد التحم، وشملهُ قد التأم..
يا بُنَاةَ المستقبل، يا أيها السعداء،
صِلُوا ما تقطَّع، وجمِّعوا ما تفرَّق،
وحول الحقيقة العظمية،
بناءً الأمة شيدوا.

الفراغ الأخلاقي المعاصر
د. عبد الرزاق بلعقروز

٣١

إستراتيجيات في التواصل
الأسري / د. عبد الله صدقي

٢٢

جنون القوة
فتح الله كولن

٢

انتخاب الأفكار

ماسة للوقوف على مصطلح التجديد قام بهذه المهمة خير قيام أحمد فتحي حجازي في مقاله "التجديد.. محاولة لفهم المصطلح". أما أسامة شهبان فيرصد عند رائد المفكرين في العصر الحديث الإمام النورسي آفاق "العقلية التصويرية ووسائلها".. كما يتساءل فوزي بسام تساؤلاً جوهرياً قائلاً "هل مشكلتنا مشكلة قيادة؟" وفي ثنايا إجاباته عن هذا التساؤل، يزيح كثيراً من الغمام الراكد أمام صفحة الفكر الإسلامي الرائق. ويستعرض عبد الرحمن الطيب بعضاً من جوانب الإصلاح في سورة يوسف مُنزلاً هذه الجوانب على واقعنا المعاصر.. ويختم جمال بن فضل الحوشي هذه الرحلة الفكرية بمقاله المتميز "سيعلمون غداً من الكذاب الأشر"؛ يستحكي فيه النصوص القرآنية، ويجلي وسائل المبطلين والمفتريين وذوي الدعايات السوداء لصد أهل الحق عن متابعة مسيرهم.

وفي مجال العلوم يتألق -كالعادة- ناصر أحمد سنه في "النباتات اللاحمة"، وخلف أحمد أبو زيد في "البحار كنوز وأسرار".. وفي التربية يحدثنا عبد العزيز الإدريسي -بعد بحث ميداني- عن مدارس "الخدمة" ودورها في تحقيق السعادة بعدما تأسّف على إغلاق الحكومة التركية لها. وعن ثقافة التواصل الأسري يقترح عبد الله صدقي خمس إستراتيجيات للتواصل الإيجابي البناء داخل الأسرة.. أما واحه الأدب نشرًا فعند أديب الدباغ في رائعته "رجال القلوب الضارعة"، ومحمد المنصوري في "لبيتنا قلمٌ من رصاص" يستروح طلاب الأدب وعاشقو الجمال.. وعند حسن الأمراني في فريدته الشعرية "سلامًا" يطيب المقام ويحلو السماع.

إن حراء في هذا العدد -وكل عدد- تحرص كل الحرص على أن تمدّ بساطها الفكري والثقافي لضيوفها القراء والمتابعين، ليجد كل ضيف قرّاه ويتمتع من كل كاتب بِنَدَاه. ■

في حلقة علمية كانوا يستعرضون فصول كتاب قسموه بينهم ليقرأوه، ويكتبوا بعض الملاحظات عليه، بغية الاستفادة وتبادل الأفكار. وبعد الانتهاء من عرض الكتاب اقترحوا أن يقسموا بينهم مقالات "حراء" ليقرأوها في اللقاء القادم؛ هذا يأخذ المقال الرئيس، وذلك يأخذ مقال العلوم، وثالث يأخذ مقالاً فكرياً، حتى وزّعوا المقالات جميعها عليهم. كانت هيئة التحرير حاضرة في هذا الملتقى، شعرنا بثقل الأمانة الملقاة على عاتقنا، فما يُختار في "حراء" سوف يكون عاملاً من عوامل التكوين الفكري والثقافي اليوم أو غداً. إن إدراكنا لهذه الحقيقة يلقي على عاتقنا مسؤولية انتخاب الأفكار، واستكتاب أولي النهى والأبصار، لتعميد الطريق أمام قرائنا الأعزاء الذين يثقون بنا من أجل بناء فكري وثقافي وتربوي سديد.

وانطلاقاً من هذه المسؤولية نقدم لكم في هذا العدد نخبة من المقالات الفكرية والتربوية والعلمية والأدبية مع مجموعة متميزة من كتابنا الأعزاء، ف"مناخ العولمة الذي يحيط بنا من كل الجوانب بضروراته وقوانينه، يستلزم منا أن نستفيق من سباتنا، ونُصْحَوْ من غفلتنا، وأن نكون عنصرًا راشدًا من عناصر التوازن المتمحور حول الحق والقوة والعقل والمنطق، في وقت تسم فيه الحاجة إلى التعايش مع الآخرين، وإلا فسنبقى رازحين في رِقِّ التبعية، تحت رحمة المصالح كلقمة سائغة وهدف سهل"، وهذا مما عبر عنه الأستاذ فتح الله كولن في مقاله المعنون بـ"جنون القوة".

أما سعيد شبار فيواصل النحت الدقيق في القضايا الفكرية "من أجل منهاج قرآني تجديدي في الفكر والعلوم الإسلامية".. يردفه وديع اكونين "الأخذ بالأسباب المعنوية".. وفي مجال الفكر أيضًا يعالج عبد الرزاق بلعقروز أزمة القيم في مقال بعنوان "الفراغ الأخلاقي المعاصر وواجب تجديد منظومة القيم".. ولأن الحاجة



٢	جنون القوة / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٤	الحلم والكابوس / حراء (ألوان وظلال)
٥	عالم الصوت الغامض / د. محمد السقا عيد (علوم)
٩	رجال "القلوب الصارعة" / أديب إبراهيم الدباغ (أدب)
١١	من أجل منهاج قرآني تجديدي في الفكر والعلوم الإسلامية / د. سعيد شبار (قضايا فكرية)
١٦	الأخذ بالأسباب المعنوية / د. وديع اكونين (قضايا فكرية)
١٨	بين عالمين / حراء (ألوان وظلال)
١٩	ليتنا قلّم من رصاص / محمد المنصوري (قضايا فكرية)
٢٢	إستراتيجيات في التواصل الأسري / د. عبد الله صديقي (ثقافة وفن)
٢٦	نداء وترقب / حراء (ألوان وظلال)
٢٧	النباتات اللاحمية / أ.د. ناصر أحمد سنه (علوم)
٣٠	سلامًا / د. حسن الأمراني (شعر)
٣١	الفراغ الأخلاقي المعاصر وواجب تجديد منظومة القيم / د. عبد الرزاق بلعقروز (قضايا فكرية)
٣٥	التجديد.. محاولة لفهم المصطلح / أحمد فتحي حجازي (قضايا فكرية)
٣٩	العقلية التصويرية ووسائلها عند النورسي / أسامة شهبان (قضايا فكرية)
٤٣	هل مشكلتنا مشكلة قيادة؟ / فوزي بسام (قضايا فكرية)
٤٧	البحار كنوز وأسرار / خلف أحمد أبو زيد (علوم)
٥٠	الأزمة الاقتصادية وطرق إدارتها.. يوسف القليل نموذجًا / عبد الرحمن الطيب (قضايا فكرية)
٥٤	مدارس الخدمة وتحقيق السعادة / عبد العزيز الإدريسي (تربية)
٥٧	﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ﴾ / د. جمال بن فضل الحوشي (قضايا فكرية)

جنون القوة



إننا نعيش في عالم تتداخل فيه الظلمات مع النور، ويختلط فيه الخير والشر، وتتسابق فيه الأخلاق والفضيلة مع الانحلال والعبثية، وتتصدى فيه نفحات الطهر والعفاف لطوفان الدنس والفجور، ولا تكفّ الخيبة عن تعقّب الآمال في كل خطوة تخطوها. أجل، لم يسبق أن وقع في أي فترة من فترات التاريخ تناوب مذهل بين التحلل والبناء بهذا الحجم المروّع وهذا الانتظام العجيب وهذا الاتساع الشاسع كما وقع في العصر الراهن. فالتحولات تأتي بسرعة البرق، وتحاكي هزيم الرعد في شدة وقعها وإملاءاتها الفوقية، حتى الذين يتعارضون فيما بينهم لا يجدون فرصة للتعبير عن آمالهم أو إحباطاتهم، ولا عن رضاهم أو رفضهم لما يقع.

أما الذين يمتلكون زمام القوة فقد راحوا يُسجّرون الإمكانيات التكنولوجية جلّها في خدمة أجنداث الكراهية والعداوة والجشع، وباتت لديهم القدرة على إنجاز ألوان وأشكال من الهدم والتدمير والتخريب في بضعة أيام فقط، بعدما كانت تحتاج من قبل إلى قرن من الزمان.

أ

القوة طاقة كامنة تستطيع حل بعض المشاكل عندما تكون في يد الحقّ وتحت إرشاد المنطق والمحاكمة العقلية، إلا أنها ما فتئت أداةً للتدمير والتخريب في يد الفكر الغاشم المتهور الذي يدور في فلك العاطفة العمياء.

حراه

عبقريّة نابليون، وجعل من هتلر "تيسّ القرن المجنون"، ولكن ما يؤسّف له هو انهزام الحق والمنطق والمحاكمة العقلية جميعًا في أيامنا هذه أمام القوة المجنونة ووقوعها في حالة من الأسر.

وأعتقد أن هذه القوة الجامحة هي سرٌّ ما نعيشه في عصرنا من سلسلة أزمات وأحداث كل منها بمثابة دوامة.. تلك القوة الغاشمة التي حلّت محلّ القيم الإنسانية والفكر الإنساني والمنطق واحترام الحق. ويبدو أنه لا مناص من دوام هذه الأزمات إلى أن يستسلم ممثلو القوة للحقّ، ويتخلّص الجموع الذين يتبعونهم من دوامة المخاوف اليومية العابرة، ويرَو العالم الذي يعيشونه رؤية واضحة.

إننا نعيش الآن في مناخ من العولمة يحيط بنا ويحتويها من كل الجوانب بضروراته وقوانينه.. وعلينا أن نستفيق من سباتنا ونصُحِّو من غفلتنا، وأن نكون عنصرًا راشدًا من عناصر التوازن المتمحور حول الحق والقوة والعقل والمنطق، في وقت تمس فيه الحاجة إلى التعايش مع الآخرين، وإلا فسنبقى رازحين في رِقّ التبعية، تحت رحمة المصالح كلقمة سائغة وهدف سهل. أجل، ينبغي أن تستفيد أعيننا دائمًا من مرآصد الماضي وتُسدّد النظر إلى آفاق المستقبل المُشعّة بالأمل. فلو ظلت هذه التناقضات على هذه الحال فستجرنا أمواج هائلة من التحولات والفوضى لا نقوى على مواجهتها، وعند ذلك لن تتمكن من رفع رؤوسنا أو نصب قاماتنا.

إن تخطّي تلك المخاطر المبدورة على طريق مسيرتنا يحتاج إلى أبطال تشبّعوا بروح الإيثار، لا يعيشون لأنفسهم فقط؛ هؤلاء الأبطال المرتقبون الذين

إنهم يستطيعون أن يهدموا -في حملة واحدة- أقوى الأنظمة ويُسوّوها بالتراب، وأن يغيّروا -في نفخة واحدة- نظامًا سياسيًا ويقيموا مكانه آخر، وأن ينسفوا -بين ليلة وضحاها- أعرق طرائق التفكير ومناهج الأفهام، فيتركوا الحشود البشرية بلا سند ولا مرجعية، ويضعوا القيود على المعتقدات ويضيقوا نطاق حرية الأفكار؛ ولقد استعانوا مؤخرًا بالقوة الإعلامية من أجل غسيل الأدمغة والعقول، وإلباس الحق لباس الباطل، أو إظهار الباطل بمظهر الحقّ، فأحدثوا بلبلة وفوضى في القيم المجتمعية.

لم يحدث في وقت من الأوقات منذ أن خلقت الدنيا إلى الآن، أن تحولت شخصية الإنسان وكرامته ودينه وأسرته وأخلاقه وشهامته وحقوقه معرضًا للمناقشة والإدانة بقرارات "قرقوشية" ظالمة بهذا المستوى من اللامبالاة، وهذا الحد من عدم الإنصاف.

وإلى جانب كل هذا، فإني أرى أن أبرز خاصية لهذا العصر -الذي نعيش فيه آلافًا من التناقضات المتداخلة- هو التضحية بالحق في سبيل القوة، وطغيان مفهوم المصلحة على كل القيم والمثل، وحلول العصبية القومية الصلبة محلّ القيم العالمية، ومحاولة حل المشاكل الوطنية والعالمية بالقوة الغاشمة.

صحيح أن هناك حكمة في خلق القوة وإيجادها، ولكن الواقع أن الناس لا يلجؤون إلى استثمار العقل والمنطق والمحاكمة العقلية -بل ولا العبقريّة- في القضايا التي يسعون إلى حلها عن طريق "القوة"، أو بالأحرى بغضون الطرف عن تلك المقومات؛ ولهذا نلاحظ أن كثيرًا من التحولات التي تمت في العالم عبر سلطان "القوة"، لما تطلّب الأمر تأسيسها على قواعد عقلية من جديد. استهلك ذلك سنوات عديدة، بل انتهى بفشل ذريع. أجل، القوة طاقة كامنة تستطيع حل بعض المشاكل عندما تكون في يد الحقّ وتحت إرشاد المنطق والمحاكمة العقلية، إلا أنها ما فتئت أداةً للتدمير والتخريب في يد الفكر الغاشم المتهور الذي يدور في فلك العاطفة العمياء. أجل، إن هذا النوع من "جنون القوة" هو الذي دوّخ الإسكندر وأزاغ بصره، ونسّف

hiragate.com

الحلم والكابوس

فضاؤنا الفسيح موضعُ أنظارنا،
وحلم مستقبلنا..
إليه البشريةُ ترنو، وباعتلائه تحلم،
ولكن، إن كنا إليه سنمضي،
حاملين أوزارنا، متلفعين بأحقادنا؛
فما فعلنا شيئاً، وما أنجزنا أمراً،
وربما أحلامنا الجميلة،
عادت كوايس مخيفة.



سيُنقذون الإنسانية اليوم لا تهتمهم ذواتهم أبداً، بل يندرون حياتهم كلها لإحياء الآخرين.

وعندما يحين اليوم الذي تغمر فيه أرواح الجماهير العريضة أفكاراً هؤلاء الأبطال التي تشع نوراً وتنبض محبة، سوف تهدأ العواصف التي تكتسح طبقات البشرية، وتنتهي أيام الحسرة والهجران.. ونتمكن -بفضل استردادنا لموقعنا في التوازن العالمي- من تأسيس توازن رباني قائم على جدية في السعي، وعدالة في التدبير، والتزام تام بمبدئ الحرية الفطرية الكاملة.. وسوف تضحل الأزمات الاجتماعية التي تعرضت لها مجتمعاتنا كافة، وتُحل المعضلات الكبرى التي أرققتنا على الصعيد الدولي واحدة تلو الأخرى.. ويعود التناغم الأزلي بين المِحن والمِنح والأتراح والأفراح من جديد.. ويُهَمَس لنا وللإنسانية بأسرها -أو لجزء كبير منها- بمعان ذات مغزى، تشبه في لحنها وأدائها معاني زمان كنا نضطلع فيه بأدوار كبرى، نقيم القسط ونرفع ميزان العدل بين أمم الأرض كافة.. وندرك بأرواحنا المعنى الحقيقي لـ"الإنسان النافع" من جديد.

إن كل جهد يُبدل في سبيل إيصال أمتنا أولاً والإنسانية ثانياً إلى "أفق" كهذا، لهو من الأهمية بمكان من أجل بناء السلام والأمن والاستقرار والقيم الإنسانية العالمية على مستوى الكرة الأرضية. إن بلوغ أفق كهذا، يضاھي في أهميته بلوغ الغاية من الخلق، كما أنه حلم يراود الإنسانية كلها. إن كل تقدم باتجاه تحقيق هذه الحلم، وكل تحرك صوب النهوض بالحق ليعتبران أصح الخطوات إلى الله تعالى. وكل خطوة -مهما صغرت- يخطوها المرء في هذا الاتجاه، جزء مكمل لذلك التكوّن الكبير المنشود.

أجل، إن هذه المحاولات والجهود النسبية التي نبذلها، هي في مجملها رشحات تُغذي حوض المستقبل السعيد. وإننا نحلم أن نصير الرشحةُ إثر الأخرى بحيرة، وأن تُفتَح أمامها جداولٌ تتدفق فيها المياه كالأنهار الهادرة. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة سينتي التركية، العدد ٢٠٣، السنة ١٩٩٥ (ديسمبر). الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

اصفح عندما تكون قادرًا على العقاب، عندها يكون لصفحك قيمة.

الموازن

عالم الصوت الغامض

الحنجرة، يهز الهواء الأوتار الصوتية المشدودة، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث الأصوات، فيكون صوت الرجل أكثر غلظة، بينما صوت المرأة أكثر رقة، والسبب في ذلك أن الأحبال الصوتية للرجل أطول وأكثر سماكة، وبالتالي تهتز الأحبال الصوتية عند الرجل بمعدل أقل من المرأة، لذلك ينشأ هذا الاختلاف في طبقة الصوت بين الجنسين.

تردد الصوت

تردد الصوت، هو عدد الاهتزازات الحادثة في مصدر الصوت، وهو يقاس بوحدة الهرتز. وقد وجد العلماء أن الأذن البشرية قادرة على تمييز الأصوات التي يتراوح ترددها بين ٢٠ - ٢٠٠٠٠ هرتز، أما الأصوات الأقل من ٢٠ هرتز والأعلى من ٢٠٠٠٠ هرتز هي أصوات غير

ما طبيعة الصوت، وما سر تنوعه، وكيف

يتكون، وكيف ينتقل، وكيف يستقبل؟

تعد الأوتار الصوتية هي المصدر الرئيس

للصوت في الإنسان، وهي عبارة عن حزم صغيرة من النسيج الرقيق على امتداد الحنجرة؛ إذ تقوم الحنجرة بعملية شد الأوتار الصوتية وإرخائها في طرفي فتحة موجودة في القصبة الهوائية عندما يتكلم الشخص، تضغط عضلات الحنجرة على الأوتار فتضيق الفتحة، ويهز الهواء الخارج من الرئتين الأوتار المشدودة فينتج عن ذلك الصوت.

عند التنفس تسترخي الأوتار الصوتية فتكون فتحة على شكل حرف V تسمح بدخول الهواء، وعند التكلم تجذب الأوتار الصوتية بالعضلات الملتصقة بها مما يضيق الفتحة، ثم عند اندفاع الهواء من الرئتين عبر

مر

وتعتمد سرعة الصوت على كثافة الوسط الذي تنتقل من خلاله، فكلما زادت كثافته زادت سرعة الموجات الصوتية، وقد تصل سرعة انتقال الصوت فيه إلى ٣٣٠ متر/ثانية.

صوت الإنسان مفتاح شخصيته

يتفنن البعض في قراءة لغة العيون ليؤكد أن "العين مرآة الإنسان"، لكن بعض العلماء لهم رأي آخر؛ إذ يرون أن الصوت هو الذي يكشف الكثير عن شخصية الإنسان وطبعه بل وبعض الأمراض أحياناً. ويحاول الأطباء -في الوقت الحالي- الاستفادة من تحليل نغمة الصوت لمعرفة إصابة الإنسان ببعض الأمراض، مثل فرط الحركة والاكئاب، ومرض "باركنسون" (اضطرابات في النظام الحركي).

فصوت الإنسان هو الباب الذي يمكن للآخرين الدخول منه إليه، وكشف الكثير من أسرارهم.

إذن كيف يمكن أن تنعكس شخصية الفرد بشكل كامل من خلال صوته؟

الصوت وجنسية المتحدث

تبدو الفروق بين الجنسين واضحة جداً من الصوت؛ فصوت المرأة في الغالب أعلى، وتظهر فيه المشاعر المختلفة بشكل أكبر من الرجل، وهو أمر له تفسير تشريحي يتعلق بكون حبالها الصوتية أرفع من مثيلاتها عند الرجل. فالذكور في مختلف الكائنات تتمتع بتجويف صوتي واسع تجعله يبدو أجشاً، لذا تفضل الأُنثى الذكر ذا الصوت العالي.

ولدى الإنسان الأمر مختلف؛ فالتجويف الصوتي للذكور يكون أطول بنسبة ٢٠٪ من الإناث مع أن لديها أحبالاً صوتية أطول، ولكن على عكس الكائنات الأخرى، تجد أن معظم النساء يفضلن الرجل ذا الصوت المنخفض، أما الرجال فيفضلون المرأة ذات الصوت المرتفع.

ورغم الاعتياد على الربط بين نغمة الصوت ونوع الشخص، إلا أن بعض الدراسات أثبتت إمكانية تشابه الأصوات بين الذكور والإناث، وهذا يفسر السبب في أن بعض الممثلين يمكنهم التحول إلى النوع الثاني



تملك الكلاب القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات الأدنى (٢٠ هرتز) التي لا يمكن للأذن البشرية التقاطها، وهذا ما يجعلها تستطيع الإحساس بصوت حركة انزلاق طبقات الأرض التي تحدث الزلازل، ومن ثم يمكنها توقع زمن الزلازل قبل وقوعه بفترة وجيزة.

محسوسة بالنسبة للأذن البشرية. فالإنسان إذا ما تقدم في العمر، يقل مدى الأصوات التي يستطيع سماعها؛ حيث ينخفض أعلى تردد محسوس للأذن عند كبار السن إلى نحو ١٢٠٠٠ هرتز فقط. وبعض الحيوانات -مثل الكلاب- لديها القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات الأدنى التي لا تستطيع الأذن البشرية التقاطها، وهذا ما يجعل هذه الحيوانات تستطيع الإحساس بصوت حركة انزلاق طبقات الأرض، التي تحدث الزلازل، ومن ثم يمكنها توقع حدوث الزلازل قبلها بوقت قليل.

طريقة انتشار الصوت

ينتشر الصوت خلال الفراغ والهواء والجماد على شكل موجات متضاغطة ومتخلخلة في بعضها البعض؛ حيث تبدأ على شكل دوائر صغيرة خارجة من مصدر الصوت، ثم يبدأ حجم هذه الدوائر بالاتساع، حتى تصل إلى أكبر حجم لها وتختفي تماماً، وتتميز الموجات الأولى الخارجة من مصدر الصوت بقوتها ووضوحها، ثم تأخذ بالضعف والاختفاء شيئاً فشيئاً خلال انتشارها لمسافات طويلة.



العُمر، من الأمور التي يمكن الكشف عنها بسهولة من خلال الصوت، فالتقدم بالعمر يؤثر على وضع ومدى ارتخاء الحبال الصوتية ما يجعل أصوات كبار السن في الغالب مرتعشة غليظة، كما أنهم يتكلمون ببطء ويركزون على مخارج الحروف.

بصمة الصوت

الأصوات كالبصمات لا تتطابق؛ فكلُّ منا يولد بصوت فريد مختلف عن الآخر، حتى التوائم على الرغم من تطابقهم في كل شيء، غير أن أصواتهم مختلفة. وإلا كيف سيكون شكل الحياة إن كانت أصوات البشر متطابقة بلا اختلاف؟! ولولا أن أودع الله ﷻ فينا القدرة على التفريق بين النبرات في الأصوات، لما كان لهذا الاختلاف معنى.

وهناك أجزاء مختلفة في الجسم تعمل على إنتاج الصوت وتمنحه لوناً مميزاً، وتتغير هذه الأجزاء مع مرور الأيام، فلهذا السبب قد يتغير صوتك مع مرور الوقت وحتى من يوم إلى آخر.

ويتحدد صوت كل إنسان وفقاً لأمور عدة، منها حجم منطقة الأنف، والحنجرة، ووضع اللسان، وشكل الشفاه، والطريقة التي يفتح بها كل إنسان فمه أثناء الكلام. وتلعب المشاعر كذلك دوراً في تغير صوتك حين تشعر بالفرح أو الغضب أو الخوف.. وهناك عوامل أخرى تساهم في إنتاج الصوت وتغييره؛ كالتلوث، والمناخ، والتدخين، والصراخ الكثير.

وتعتبر أصواتنا فريدة أو أكثر تميزاً، من بصمات أصابعنا، كما أن لها خصائص محددة يبلغ عددها أكثر من مئة خاصة، بعضها تتعلق بسماكة وطول أحبالنا الصوتية، وشكل ألسنتنا، وجيوبنا الأنفية. والأخرى تتعلق بشخصياتنا، مثل النبرة والنغمة والسرعة.

بمتهى السهولة خلال أدائهم دوراً كوميدياً.

وتحدد طبقة الصوت بعض المميزات الموجودة في الشخص، فالصوت الأَجَش (الذي يتسم بالعمق) مرتبط بالكفاءة العالية والقدرة على القيادة، والأشخاص الذين يتمتعون بصوت عالٍ أجَش، يكونون -في الغالب- مسؤولين عن مهام كبيرة في الشركات التي يعملون بها، بينما الأمر يختلف بالنسبة للنساء؛ فقوة الصوت وعمقه يجعل المرأة تبدو أكثر قوةً وحزماً.

ويرى بعض الخبراء أن اللهجة التي يتحدث بها المرء تلعب دوراً كبيراً في تقييمه، كما يرسم الصوت بعض الملامح الشخصية لصاحبه من خلال الطريقة التي يتحدث بها، فالاختلافات اللغوية تساعد على معرفة هوية المرء الثقافية، بينما علماء الإثنوبولوجيا يؤكدون أن نطق مخارج الحروف بطريقة مميزة، ساعد الإنسان الأول على التمييز بين أقاربه. وإن إتقان الصوت يتطلب بعض الوقت، ومع التدريب يصبح أكثر مرونة، وهو جزء لا يتجزأ من الشخص مثل وجهه تماماً، وينمو معه منذ بدء تعلمه للكلام، وتغيير الصوت ربما يجعل الشخص يتحول لآخر جديد.

الصوت ونفسية المتحدث

يبدو أن معرفة الحالة النفسية للمتحدث من خلال سماع صوته، أمر لم يحسم بعد. إلا أن هناك بعض الدراسات التي تربط بين الصوت والحالة النفسية للمتحدث؛ فالإنسان السعيد الذي يتمتع بصحة نفسية سليمة يتمتع أيضاً بصوت مملوء بالحيوية والانتعاش، على النقيض من الإنسان المطحون أو الذي يعاني من مشاكل نفسية، فصوته يقترب من الأنين، كما يكشف الصوت عن الصراعات النفسية، ويعبر عن الأمل، ويفضح الغضب أو الخوف.

ويحدد الصوت أيضاً عمر الشخص، فيقول "زند لماير": "العمر أيضاً من الأمور التي يمكن الكشف عنها بسهولة من خلال الصوت، فالتقدم بالعمر يؤثر على وضع ومدى ارتخاء الحبال الصوتية ما يجعل أصوات كبار السن في الغالب مرتعشة غليظة، كما أنهم يتكلمون ببطء ويركزون على مخارج الحروف".



تملك الدرافيل القدرة على رصد الذبذبات فوق الصوتية، وهو ما لا يمكن للبشر سماعها والتقاطها.

تطور نموهم داخل البيض.
وعندما نتحدث عن الحيوان، نجد أن قدرته السمعية تختلف عن الإنسان؛ فهي عند الخيول أقوى من مثيلتها عند الإنسان، فالخيل تملك آذاناً كبيرة ومتحركة تدور بحرية لالتقاط الصوت من كل الجهات، كما يميزها ردة الفعل الخاص لصوت الإنسان.

ولقد أثبتت الدراسات أن بعض أنواع الحيوان تستخدم أنظمة اتصالية متطورة نسبياً، فلديها عدد من الرسائل التعبيرية الخاصة بموضوعات معينة. ومن اللافت للنظر نجاة الحيوانات والطيور في زلزال جنوب آسيا (تسونامي ديسمبر ٢٠٠٤)، إذ لم يُرَ نفوقاً واضحاً لها، بينما زادت جثث البشر عن ربع المليون. تُرى كيف تخاطبت هذه الحيوانات وأندرت بعضها قبل ساعة الصفر، في حين لم تفلح أجهزة الإنذار المبكر لدى البشر؟

والبحوث التي أجريت في الصين بعد إقامة جهاز "السيسموغراف" المتنبئ بالزلازل بينت أن الحيوانات هي أكثر المخلوقات تنبؤاً بالزلازل، وأنها تقوم بتصرفات مخالفة لطبيعتها قبل وقوع تلك الزلازل.

فالأفاعي -مثلاً- تهجر جحورها، والخنازير تهيج في حظائرها، والدجاج يهجر الحظيرة، والكلاب ترفض إطاعة أي أمر، والإوز يهرب من برك الماء ويعتصم بقمم الأشجار، أما الأبقار فتحطم حظائرها لتنتقل إلى الخارج، والكلاب لا تهدأ عن النباح، والفئران تتجه إلى الشوارع على غير عاداتها. أما سمك "الويلز"، فإنه يغير من عاداته في السير ويضطرب كثيراً، وهذا يعني أن زلزالاً ما على وشك الحدوث. والأمر لا يقتصر على الحيوانات الأليفة، بل يتعداها إلى الحيوانات المفترسة التي تشعر بالزلازل على بعد أكثر من ١٥٠ كم.

بعد كل ذلك نقول، سيظل عالم الصوت المثير هذا ميدان بحث دائم لكثير من المجالات والتي تُظهر كل يوم الجديد والغريب في هذا المجال، وهذا ما ستكشفه لنا الأيام المقبلة. ■

(٤) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

ولذلك يحاول العلماء اليوم استخدام الصوت بدلاً من كلمات السر أو إثبات الشخصية؛ فبصمة الصوت أدق من أي كلمة سر.

الصوت والكشف عن الجريمة

استغل البحث الجنائي بصمة الصوت في التحقق من شخصية الإنسان؛ ويتم ذلك بتحويل رنين صوته إلى ذبذبات مرئية بواسطة جهاز تحليل الصوت "الإسبكتروجراف"، وتستخدمها الآن البنوك في أوروبا حيث يخصص لبعض العملاء خزائن لا تفتح إلا ببصمة الصوت.

وقد بدأت أجهزة الشرطة في الاستفادة من ذبذبات الصوت للكشف عن المجرمين، وخاصة في حالات البلاغات المجهولة التي تتم عن طريق الهاتف، ويتم ذلك عن طريق رسم بياني للصوت يحدد أبعاده الثلاثة: الوقت والقوة والذبذبات.

الأصوات عند الحيوانات

تتمتع كثير من الحيوانات "بشعيرات" حساسة لذبذبات الهواء وبالتالي للأصوات، وبعضها لديه "أذن" في قوائمه؛ كفراش الليل أو صرصار الليل.

والكلاب والدرافيل والطيور والضفادع تتمكن من رصد ذبذبات فوق صوتية، وهو ما لا يمكننا سماعه.

أما الأسماك فليس لديها إلا الأذن الداخلية، ولكنها تتمتع بعضو حسي إضافي بطول جسمها (الخط الجانبي) يمكنها من الإحساس بالأصوات (الذبذبات). كذلك تبين أن أجنة الطيور تستجيب للمثيرات الصوتية الخارجية (كصوت الآباء) منذ اليوم الثاني عشر من

على الإنسان أن يتصرف تجاه أخطائه كجهة ادعاء، وتجاه أخطاء الآخرين كجهة دفاع.

الموازين

رجال "القلوب الضارعة"

سألته -أيها العزيز- أن أعرفك برجال "القلوب الضارعة"، مَنْ هم؟ وما أحوالهم وشمائلهم وأوصافهم؟ فأقول وبالله التوفيق:

س

إنهم رجال ليل، ذوو لوعاتٍ وزفرات، وأَناتٍ وَعَبْرَات، ودموع سافحات، وأشواقٍ حارقات، وآلام صارخات، وأحزانٍ كاويات، وألسنةٍ ضارعات، وأكفٍ مرفوعات، للرحماتِ مُستنزلات، وللألطافِ الإلهية راجيات. بأنفاسهم يتعطر الليل، وبوجودهم تحت جناحيه يأنس ويطرب، وبركعاتهم بين جنبه إلى ربه يتقرب.. جنان الخلد إليهم شَوَاقَات، وعيون الحور العين إليهم رانيات، ولهم منتظرات، أبصارهم نافذات، وبصائرهم كشافات لَمَاحَات، تلمح البعيد، وترى "ما وراء" الآفاق، وتستشرف



رجال القلوب الضارعة هم الغيث المغيث
لمجدبات الأرواح وقاحلات العقول، وعيون
غيوثهم لا تنضب أبداً، وعطاؤهم لا يتوقف
عند حد.. صلاتهم فناء بالله وبقاء به، فهم
بين فناء وبقاء في غدو ورواح، على منابع
أرواحهم يرد العطاش ومنها ينهلون.

حراه

مستقبل الأقدار ما يأتي به الليل والنهار.. إنهم أوتاد
الأرض ورواسيها الشامخات، من دونهم ترنح الأرض
ويصيبها الدوار ويعمها الاضطراب.

إذا ما غابوا؛ غاب الأمان، ونصب الخوف راياته
في كل مكان، وعلى الأرض تُصَبُّ البلاءات صباً، إن
لم يأتوا الكعبة أنتهم، وفي صلواتهم وافتهم، وأمامهم
انتصبت، وقُدَامِهِم وقفت، تزيدهم أشواقاً، وخشوعاً
وإخباتاً.. بهم تندى الأسحار، وبدموع أرواحهم تتساقى
الأرض كؤوس الوجد والاشتياق.. إذا ما استمعنا إليهم
شعرنا بأن عالماً جديداً يُخلَق فجأة في أرواحنا، فهم
يودعون في أرواحنا من الأسرار ما لا نجسر على
الإسرار بها حتى لأنفسنا، تشرب دموعهم قبل أن تجفَّ
عن أجفانهم.

إن أوتار حياتنا تظل ساكنة إلا إذا حركتها كلماتهم،
ولامستها أنامل أذهانهم، إننا إذ ننحني أمام سمو
أرواحهم وعلو أفكارهم؛ ينحني معنا الذكاء البشري
المتواكب إلى الأعالي، والتوافق إلى استرداد الروح من
أعاليها الماورائيات، وسمواتها الصافيات، وآفاقها
النقيّات.

إذا قلوبنا أعطيناها؛ استودعها أرواحهم، وملكوها
بصائرهم، لنرى برؤاهم، ونبصر ببصائرهم، وننهل من
معين معارفهم ومن ينابيع علومهم.

إنهم إذا لحظوك غيروك، وبالأخرة ذكروك، وإن
كنت في هبوط انتشلوك، أو كان قلبك غير الله مشغولاً
أفرغوه ثم بذكره أترعوه.. عقولهم بأجنحة الروح
تجوب الزمان، وتستقرئ الأكوان، وتحمل الإنسان

بعيداً في الزمان؛ لتلقيه في غوالب لُجّه، وغوامر موجه،
ثم لتذيقه بعد ذلك من شراب الخلود، وتسقيه من كأس
السرمدية رشقات.

وإن كانت عينك بضباب الأرضيات محجبتين
أزاحوا ضبابهما، وحدوا نظراتهما، فبصرت واستبصرت،
ورأيت الملك والملكوت قائمين بقوامة الله وقدرته.

إذا نطقوا انثال نطقهم فكراً جليلاً، وحكمة مُصَفَّاة،
يفسرون لك لغز الكون، ويعلمون طريقك في الدنيا
والآخرة.. الأنوار في أرواحهم ينابيع دفاقة، تغسل
الإنسان من الأدران، وتطهره من الأرجاس، إن بُرد
وجدانك أوقدوه، وإن أظلم أناروه، ماء الجمال والبهاء
يتقطر من أردانهم ويفيض من وجوههم.. باعث حزن
وشجن في أصواتهم إذا تكلموا، تسايحهم في الليالي
وجد وأشواق، وصلواتهم ضراعات باكيات، يخافون
أن يكونوا من أهل الغرّة بالله ويشفقون أن تُردّ عليهم
أعمالهم، ولا تقبل تضراعاتهم، حشاهم في نيران
الوجد مذاب، وأفئدتهم مسيل دفاق، تشرب منه الأكياد
الحرى، والأرواح العطشى، إنهم قوى مشعة تنفذ في
الإنسان فتحرك سواكنه وتحيي مواته.

إنهم الغيث المغيث لمجدبات الأرواح، وقاحلات
العقول، وعيون غيوثهم لا تنضب أبداً، وعطاؤهم
لا يتوقف عند حد.. صلاتهم فناء بالله وبقاء به، فهم
بين فناء وبقاء في غدو ورواح، على منابع أرواحهم
يرد العطاش ومنها ينهلون، ووقدات نيران عشقهم
جذوات لُبرداء النفوس وشواتي الأرواح، يضرّبون في
فيافي الإنسان، وفي قفاره يتسمعون إلى أسى ترانيمه
المنبعثة من ضنى القلب ووجع الروح، فتمتد أيديهم
لتمسح القلوب، وتُطَبِّ الجروح.. إنهم للأرض ربيع
دائم، وللإنسان غمام هاطل، وإنهم في المكان الأعلى
من سلّم البشرية، يكفرون بأحوالهم عن خطايا جنس
الإنسان، وإن كنا عاجزين عن بلوغ قممهم فلا أقلّ من
أن نحبههم وندين لهم بالولاء. ■

(٤) كاتب وأديب عراقي.

من أجل منهاج قرآني تجديدي في الفكر والعلوم الإسلامية



الأصول المؤسسة لا من خارجها. فهناك أصول تؤسس المعرفة باعتبارها أساسات ومنطلقات ذات قدرة استيعابية كبيرة لخاصية الإطلاق فيها، وهذا لا يكون إلا للوحي، ثم هناك أصول أسستها المعرفة في صيرورتها التاريخية كان من المفترض أن تخضع لتجديدات وبناءات مستأنفة لخاصية النسبية فيها وهذا شأن كل إنجاز بشري. لكن للأسف -تاريخياً- كان الاشتغال بما أسسته المعرفة لا بما يؤسسها، ثم في منظومة الإسلام التوحيدية الموحدة لا يمكن لتلك الغايات أن تفصل عن بعضها أو تستقل، وإلا اختل النظام كله وتعذر الإنجاز، وكنا -كما نحن الآن- أمام تحيزات ونزعات، لا أمام معرفة متحققة بشروط وجودها الغائية والاستخلافية والإنسانية. لذا فالحاجة داعية إذن إلى النظر المنهجي الكلي إلى هذه العلوم من زاوية منطلقاتها وأصولها،

لا شك أن للعلوم -كل العلوم- غايات ومقاصد تحقق الرؤى والفلسفات الكامنة وراءها والمؤطرة لها. والعلوم الإسلامية لا تشذ عن هذا الاطراد، بل هي أكثر العلوم -إطلاقاً- ارتباطاً بالغائية والمقصدية لارتباطها بالدين. وأعتقد أن غايات ومقاصد العلوم الإسلامية ثلاث كليات لا تكاد تخرج عنها: أن تحقق الهداية والصلة بالله تعالى، أن تخرج الإنسان المستخلف الرسول، أن تبني مجتمعها وتسهم في إعمار الكون من حولها.. وهذا الذي فعله الإسلام في صدره الأول. لكن الناظر إلى حال هذه العلوم -رأهنا وتاريخياً- يجد أنها لا تكاد تحقق واحدة من تلك الغايات والمقاصد، فكيف بها مجتمعة! وهذا ما يطرح تساؤلاً حول مادة هذه العلوم نفسها، التي تحتاج إلى إعادة بناء أو استئناف من داخل



ومن زاوية أهدافها وغاياتها، ما تحقق منها وكيف؟ وما لم يتحقق منها ولم؟ وهذا الذي نروم تقريبه من خلال هذه المعالجة المنهجية السريعة.

الإشكال تاريخي

ذكر السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" عن الحسن البصري، أن أصول الانحراف في الأمة أصلاً كبيران. أما الأول فهو طروء أو ظهور فرقة الخوارج وما تلاها وتبعها من فرق، والثاني فهو فساد نظام الحكم. ولا يخفى أن العلة الأولى هي إشارة إلى الانحراف الفكري التصوري سواء في جانبه العملي (استباحة دم المخالفين) أو في جانبه العقدي (تكفير مرتكب الكبيرة، الحاكمية لله). أما العلة الثانية فمتعلقة بفساد نظام الحكم وانحرافه عن المنهج الشوري وغلبة مظاهر الاستبداد والجور عليه. فهذه جبهة الذات، حيث نمت وترعرعت العلوم الشرعية قاطبة، وحيث عرفت في مجملها دوراً محلياً دون استئناف تجديدي يؤهلها للمواكبة. وإذا كان الأصل في هذه العلوم أن تكون تابعة للوحي الخالد تتجدد بتجديد النظر فيه والكشف عن جوانب من مكنونه، فإن الإشكال الكبير الذي وقعت في أسره إلى الآن، أنها استقرت على أسس تاريخية (مذهبية وفرقية وحزبية طائفية) أكثر منها شرعية، وأضحت متبوعة باعتبارها أصولاً ثابتة لا تتغير. فأخذت بالممارسة التاريخية من صفات الوحي ما لا يجوز إلا للوحي، وتصدرت مكانه، وأمسى الوحي تالياً لها في الرتبة والاعتبار، شاهداً لها لا عليها. ولهذا نحن، في الغالب الأعم، لا نُدْرَس ولا نُدْرَس في جامعاتنا من القرآن إلا علوماً تاريخية، ولا من السنن إلا فنوناً منهجية، ولا من الفقه إلا تاريخه، ولا من الفكر والعقيدة إلا تاريخهما، حتى إنه ليصح أن يُقال: إننا كائنات تاريخية تراثية ولسنا كائنات لها تاريخ وتراث تأخذ منه وتذر. أما فقه القرآن والسنة -نصاً- لتحقيق الكسب الفكري والمعرفي الراهن والمواكب لقضايا الإنسان المعاصر بما يجسد فعلاً استيعاب رسالة الختم للزمان والمكان، فهذا الغائب الأكبر، ليس في مناهج ومقررات الدراسة فحسب، بل في اهتمامات رجال الفكر والعلم والإصلاح والتغيير كذلك.

لذا تحتاج هذه الجبهة إلى عمل يعيد للأصول والمصادر ترتيبها العادي، تجعل القداسة للوحي المهيمن والمصدق وتنزعها عن الفكر البشري.. تمارس بالقرآن وصحيح السنة على التراث الفكري الإسلامي ما مارسه القرآن نفسه على التراث الفكري البشري منذ بداية تنزله إلى نهايته.

في الحاجة إلى استئناف تجديدي شامل في العلوم الإسلامية وبناء أصول فكرية

لا يخفى أن العلوم الإسلامية نشأت ابتداءً من الوحي، وانبثقت عن الكتاب والسنة، ثم توسعت في التاريخ واستقرت على أوضاع معينة. فالأصل فيها أن بينها وحدة عضوية موضوعية لوحدة الأصل والمصدر. والناظر إلى واقع هذه العلوم التاريخي والراهن، يلحظ أن كلاً منها يكاد يدور في فلك خاص وأطر مرجعية ومنهجية خاصة، وأن فيها من التجريد والصورية أكثر مما فيها من الواقعية لتعطلها عن المواكبة العملية. أما عدم تفاعلها الإيجابي مع السنن الكونية والاجتماعية، فأدى من جهة إلى تعطل جبهة العلوم الكونية والمادية فكان العجز الشامل عن بناء النماذج الحضارية الذاتية، ومن جهة أخرى إلى تعطل جبهة العلوم الإنسانية فكان العجز عن بناء نموذج الإنسان المسلم السوي. وهما الآن (العلوم المادية والإنسانية) من أهم مداخل استضعاف الأمة واستلابها لنماذج الغرب ذات الشوكة والغلبة.

يضاف إلى هذا الإشكال إشكال آخر متفرع عنه، إشكال متعلق بتصنيف هذه العلوم وترتيبها المنهجي والمدرسي التعليمي.. كالتمييز بين العقيدة والشريعة والعبادات والعبادات، ومدرسة الرأي ومدرسة الأثر، والعقل والنقل والحكمة والشريعة.. حيث تطور الأمر إلى صيغ معاصرة تعكس الصراع نفسه -كالأصالة والمعاصرة، والحداثة والتقليد، والعقلانية والشرعية، البيانية والبرهانية- مما أسس من جهة، ثنائيات تقابلية لا يقوم أحدها إلا على نقيض الآخر، توجه ثقافة وفكر الأمة إلى المزيد من الصراع والاحتراب الداخلي، ويمنع -أو على الأقل يؤجل- بناء الفكر الموحد المستوعب لهذه

إننا بحاجة إلى إعادة بناء العلوم الإسلامية، لا من خلال تشكلاتها التاريخية، بل من خلال الأصل الذي انطلقت منه -كتابًا وسنة- بالشكل الذي تبرز فيه وحدتها وتكاملها، وتنتفي كل أشكال التعارض والانفصال الزائف فيها، وتبرز تكاليفها وأحكامها الجماعية، وبالشكل الذي تعطى للخلق والحياة معنى وغاية.

حزله

ومنهجًا- لا تسعف في مواجهة هذه التحديات وتقديم الإجابات اللازمة. وإذا كان الأصل في الأصلين (أصول الفقه وأصول الدين) وضع القواعد العملية للفقه والفكر، فإننا نجد أن الفقه قد نجح في أن تكون له أصول لولا أن اغتالها التجريد لطوء الدخيل المنطقي الصوري عليها. أما الفكر فلم ينجح علم الكلام في أن يضع له أصولاً لا عملية ولا نظرية، خاصة تلك التي تنبني على كليات مفاهيمية هي تكاليف جماعية للأمة. وفي اعتقادي أن التحديات التي تواجه الأمة كأمة، لا يمكن أن ترتفع إلا بالنهوض الجماعي للأمة بتكاليفها كأمة، وهذا أمر لا يسعف فيه الفقه الفردي والجزئي التفريعي على سعته وإحاطته. فلا بد من فقه للأمة يعمل على إخراجها وبعثها ينبني على أصول فكرية كلية مستوعبة، يكاد حضورها ينعدم في تراثنا الفكري. وبالرغم من النكبات والأزمات التي توالى في الأمة، وإن كان لهذا الأمر تبريره السياسي في احتكار السلطة وممارسات كثير من الخلفاء والسلطين القمعية، التي تحول دون الخوض في الشأن الجماعي نقداً وتوجيهاً، فإنه ليس بمانع من بنائه فكرياً تأصيلاً وتقعيداً.

وبالنظر في القرآن الكريم نجد أنه لم يرد حديث عن الأمة -في الغالب- إلا مقروناً بتكاليف جماعي، وتلك التكاليف هي ذاتها أصول تحتاج إلى مزيد بناء واستكشاف وتفعيل على الساحة الفكرية العلمية والعملية.. كأصول الخيرية والوسطية والاستخلاف والتعمير وحمل الأمانة والعالمية والشهادة وغيرها.. وهناك من الآيات والأحاديث ليس فقط ما يكفي لهذا

الثنائيات في سياق تكاملي لا تقابلي. والقرآن كله -وهو نص- خطاب عقل وفكر وتدبر واعتبار وسنن آيات.. مما بإمكانه أن يؤسس معرفة برهانية وعقلانية سننية، كونية وإنسانية، بما في ذلك قضايا الإيمان والاعتقاد الصرف. ويحتاج في هذا السياق إلى تحرير الثنائيات من الصراع التاريخي والمعاصر، أي من التقابل إلى التكامل، وبنائها بناء معرفياً وفق منهج تتكامل فيه مصادر المعرفة -نصاً وعقلاً وواقعاً- حيث بالإمكان استيعاب أطروحات الغرب وتجاوزها.

من جهة أخرى، أسس تصنيف العلوم المتقدم إلى التمييز بين العقيدة وأحكامها، وبين السلوك والمعاملات أو الشريعة وأحكامها، وبين الفكر وتأملاته ونظراته.. فبدت الأعمال والأفكار وكأنها مستقلة ولا علاقة لها بأطرها العقدية الموجهة، فنمت في الأمة وشاعت مظاهر الإرجاء والجبر والتعطيل والتواكل والسلبية.. ما تزال تشغل في الأمة -فكراً وسلوكاً- بصيغ وأشكال مختلفة إلى الآن. ويحتاج في هذا السياق كذلك إلى وصل الفكر والعمل -كل الفكر والعمل- بالمقومات العقدية والإيمانية لكونهما كيانان لا ينفصلان؛ فلم يرد الإيمان في القرآن إلا مقروناً بعمل، وكل صفات "الذين آمنوا"، أعمال بالفكر والقلب والجوارح.. وإلى الاشتغال على تحرير العقيدة المؤطرة للفكر والعمل من كل دواخلها وشوائبها الكلامية والخرافية البدعية عبر التاريخ، بما يسمح لها أن تكون منطلقاً وقاعدة للرؤية الكلية للإسلام عن الإنسان والكون والحياة، وذلك بينائها على القطع لا الظن، والمحكم لا المتشابه، كما يعرضها منهج الهيمنة والتصديق القرآني. وأن تُحسم بالبحث والدراسة كثير من الإشكالات العقدية، كتلك المتعلقة بمبدأ ختم النبوة وإكمال الدين بمحمد ﷺ، والتراث المتعلق بعودة المهدي والمسيح، وغيرها من القضايا التي تحتاج إلى تمحيص وبحث.

الإشكالات الثالث هنا، يتجلى في كون التحديات القائمة بوجه الأمة الآن، تحديات جماعية أكثر منها فردية وميدانية أكثر منها نظرية. وعلوونا كما هي بطابعها النوازلي الفردي والنظري التجريدي الغالب -مادة

البناء، بل ما يفرضه ويوجبه وما يدفع إليه ويحفز عليه، إذ لا سبيل للنهوض الجماعي إلا به.

إننا بحاجة عمومًا إلى إعادة بناء هذه العلوم، لا من خلال تشكيلاتها التاريخية، بل من خلال الأصل الذي انطلقت منه -كتابًا وسنة- بالشكل الذي تبرز فيه وحدتها وتكاملها، وتتفني كل أشكال التعارض والانفصال الزائفة فيها، وتبرز تكاليفها وأحكامها الجماعية كما برزت الفردية.. وبالشكل الذي تعطي للخلق والحياة معنى وغاية، وتتفني عنها كل أشكال العبيثية والعدمية التي تغذيها كثير من فلسفات الغرب المعاصرة الآن، والتي أمسى الإنسان فيها كائنًا طبيعيًا بسيطًا تجري عليه القياسات والتجارب الطبيعية ذاتها.. وبالشكل الذي ينفي عنها مظاهر التحيز والتزوع الاكتفائي، ويسد مواطن الفراغ والخلل فيها، من خلال استحضار مصادر المعرفة في تكاملها.

قضايا معاصرة أمام الفكر الإسلامي

أعتقد أن من قضايا الفكر الإسلامي الراهنة والملحة بقوة أن يبدأ بشكل منظم وفق مخطط مرحلي في دراسة إرثه التاريخي وحل مشكلاته التي ذكرنا منها والتي لم نذكر. وهذا العمل هو بحد ذاته تأهيل لهذا الفكر لمواجهة التحديات والقضايا الراهنة التي تطرحها ساحة التدافع، حيث يجد هذا الفكر نفسه محوطًا -وفي كل مرحلة بشكل لا إرادي- بأوضاع لم يُسهَم هو في خلقها ولا له يد في تديرها، وعليه أن يتكيف ويتلاءم بالسرعة المناسبة.

في زمن العولمة، المشكلات الآن كونية إنسانية تشترك فيها كل الحضارات وإن لم تسهم في صناعتها، وكل قضايا الإنسان أصبحت تصاغ وتقرر كونيًا، حتى تلك التي كان يعتبرها في بيته من أدق خصوصياته، ولا يمكن لحلول هذه المشكلات أن تكون جزئية، بل في مستوى كونيتها. وإن مقولات شائعة ورائجة الآن يراد منها صوغ فكر كوني نمطي، كحوار الحضارات والثقافات وحوار الأديان أو عكسها الذي ينذر بالصدام، تطرح على الفكر الإسلامي باعتباره ممثل حضارة وثقافة ودين؛ أن يكون له إسهام فيها، وهو الأقدر على

ترشيدها وتصويبها للخير والنفع العام إن استطاع أن يعكس فعلاً هداية رسالة الختم التي يحملها في أفقها الكوني.

وإن مشكلات إنسانية اجتماعية كالفقر والبطالة والجريمة، وحقوق الإنسان والأمية، والتكافل والتفكك الأسري.. وكذلك مشكلات البيئة والحروب والصحة والمعاملات المختلفة.. كل ذلك مما ينبغي أن يواكب فكريًا بالتأطير التصوري العقدي وفقهياً بالحكم التطبيقي العملي.

وهذا كله يستدعي -وهو من القضايا العاجلة الآن- اجتهادًا وتجديدًا غير منقطع في فكرنا المعاصر بما يحقق راهنيته. فهذه -وما في معناها- مضامين جديدة لعلم كلام جديد، واجتهاد فقهي جديد، لكن وفق منظور تصوري جديد ومنهج عملي جديد.

في معالم منهج قرآني بنائي تجديدي للفكر والعلوم
تجدر الإشارة أولاً، إلى أننا نتحدث عن منهج كلي مستوعب يمكن أن تندرج تحته فروع منهجية بحسب الحقول العلمية.

وهذا المنهج ليس آلة محايدة يقوم بوظائفه بمعزل عن أطره المرجعية، بل الأصل فيه أن يعكس رؤية تتجلى في جميع فروعها. فالفلسفة المادية الاستهلاكية الموجهة للغرب الآن والتي لا حضور فيها لعالم القيم والتراحم والأخلاق والمثل، تنعكس حتى على أدق العلوم التجريبية فتجعلها متحيزة مادياً لا إنسانياً.

هذا المنهج العام لم يتبلور في ثقافتنا التاريخية ولا الراهنة، فقد كان ممارسة عملية في الصدر الإسلامي الأول، لكن بعده لم يعمل على استخراج معالمه أو التأسيس لمقوماته، لا في عصر التدوين ولا بعده. وكما انفصلت العلوم الإسلامية عن بعضها البعض، استقلت كذلك بمنهجها، فتعددت المناهج بدورها دون ناظم منهجي عام.

وهذه المناهج الجزئية ليس بإمكانها أن تستوعب القضايا الكلية المطروحة على ساحة التدافع الكوني. ولو أردنا شيئاً من التدقيق في فكرنا الحديث والمعاصر، لوجدنا أن المناهج السائدة منذ الحقبة الاستعمارية

إن التحديات التي تواجه الأمة كأمة، لا يمكن أن ترتفع إلا بالنهوض الجماعي، وهذا أمر لا يسعف فيه الفقه الفردي والجزئي التفريعي على سعته وإحاطته، فلا بد من فقه للأمة يعمل على إخراجها وبعثها يبنني على أصول فكرية كلية مستوعبة، يكاد حضورها ينعدم في تراثنا الفكري.

جذرية، وأن يجدد فيها أصولاً وفروعاً بما يستجيب لتحديات المرحلة الراهنة في نزوعها الكوني العالمي، وهو في جميع الأحوال دون كونية وعالمية الرسالة.

في الختام

أقول، إذا كانت القناعة أن الأزمة فكرية جوهرها منهجي، وأن هذا العمل يراد له أن يكون تصحيحاً جذرياً لا ترقيعاً شكلياً؛ فلا بد من أن تستنفر في أرجاء الأمة طوائف متعددة بحسب العلوم والتخصصات للبحث.. وأن تبدأ بمدارسة موسعة في المنهاج القرآني العام ثم المناهج الخاصة، وفق رؤية تكاملية مستوعبة يمكن أن تكون الإشارات والبيانات السالفة مسعفة ومساعدة على الاشتغال وتطوير البحث في هذا الاتجاه.. وأن تتخلل هذا العمل لقاءات منتظمة للمدارسة، خاصة في الوحدة البنائية وفي النواظم العملية والمنهجية حفاظاً على العقد من الانفراط، وتأكدًا من صحة المسار في تكامليته وكونيته وإنسانيته وقبل ذلك إسلاميته.. وأن يكون التركيز -في مقام أول- على مساحات الفراغ والتخلف التاريخي الذي تعاني منه الأمة، في جهتي العلوم الكونية المادية والعلوم الإنسانية الاجتماعية باعتبارها تكليفاً من التكاليف الشرعية. فالنظرة الاختزالية (الأحكامية الفردية) للقرآن، هي التي جعلت النظر إليها كذلك، فلم تستأنف فيهما علوم ولم تتراكم فيها معارف بما يؤهل الأمة لموقع الشهادة والتدافع الحضاري. ■

© جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال / المغرب.

-حيث كان الشعور القوي بالأزمة- لم تخرج عن كونها مقاربات كما لدى البعثات الطلابية إلى الخارج "الطهطاوي والتونسي"، والتي لا تزيد عن كونها تعكس حالة الاندهاش، وتؤسس من حيث لا تشعر، لعقليات قابلة للاستلاب ظهرت بعدها بقليل.

ثم مقارنات كما هو السائد في كثير من الأدبيات الفكرية والحركية المعاصرة، التي لا هم لها إلا أن تثبت تفوق سبق الإسلام على هذا المنجز أو ذاك في عراك فكري أو سياسي، ثم محاولات توفيقية لا تعدو كونها تركيباً غير موفق لعناصر بينها من الاختلاف أكثر مما بينها من الائتلاف، كل منها ينتمي إلى منظومة فكرية ومرجعية معينة.

وأعتقد أن من معالم هذا المنهاج الأساسية التي ينبغي أن تنال حظاً أوفر من الدراسة والبحث: أ- أن ينطلق من مصادر المعرفة في تكاملها (الوحي والعقل والواقع)، حيث يتكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة، وحيث تقرأ آيات الكون كما تقرأ آيات النص. فلا تغطي نزعة نصية على أخرى عقلية، أو هذه على نزعة واقعية أو العكس.

ب- أن يستصحب قيم الهداية والرحمة واستشعار مسؤولية الاستخلاف والتعمير وحمل الأمانة والشهادة على الناس، مما يجعل المعرفة المنتجة أو العلوم المستخلصة، شعاراً للهداية والأمن والسلم والحوار والجدال والتي هي أحسن، من أجل قيم عليا تنفي عنها الأغراض والأهواء الذاتية.

ج- أن يبنني على خصائص التوحيدية والعالمية والوسطية والإنسانية والواقعية تنفي عنه أشكال الانغلاق والتحيز، والغلو والتشدد، والإفراط والتفريط، والصورية والتجريد وما إليها.

د- أن تكون له محددات كختم النبوة والهيمنة والتصديق والوحدة البنائية للنص، وما إليها مما يحول دون تسرب الخرافات والشوائب والزوائد التاريخية.

ولعل التنزيل الجزئي لمعالم هذا المنهج في مصادره وقيمه وخصائصه ومحدداته على مختلف العلوم والمعارف الإسلامية، من شأنه أن يحدث تغيرات

الأخذ بالأسباب المعنوية



ولما كانت التنمية غاية المجتمع ومسعى الجهود المبذولة من لدن أفراده، لزم القول بأن أبناء الأمة الخاتمة لا بد أن يعوا -من حيث فقد غيرهم هذا الوعي- ضرورة وصل التنمية بالتزكية، وربط أسباب الحس بأسباب المعنى حتى تتحقق لهم الخاتمية والخيرية، إذ لو فقد هذا الوصل، لتساوت مع غيرها في النظر لأمر الدنيا وهموم الإنسانية وعواقبها، ولكان غيرهم أقدر عليهم وأغلب.

وتقصد بالأسباب المعنوية؛ كل عمل ديني انطوى على قيمة خلقية تؤهل الإنسان لأن يصل ظاهره بباطنه وقلبه بقلبه، بحيث إذا لم يحصل هذا الوصل فقد لزمه طلب تزكية ذلك العمل وتطهيره من الشوائب إلى أن يصير سبباً يقرّبه لعالم الروح.

وشواهد هذا المعنى جاءت -في كثير من الآيات والأحاديث النبوية وأحداث السيرة العطرة التي تشكل

ما من شك أن كيان أي أمة -ابتداءً واستمراراً- موصول بحرص أبنائها على كونه ثم حفظ ثم تزكية مخزونها الخلقي والقيمي استجلاباً ليايح ثماره المتمثلة في تبصّر القصد الذي تؤمه، ثم تفعيل هذا التبصّر في شتى مجالات الحياة الأخرى لتحقيق التنمية المنشودة. ولا يمكن لأي اجتماع إنساني فاقد أو مفرط في ذلكم المخزون، سوى أن يهوي من رتبة الأمة إلى مجرد التجمع البشري، وهل الأمة إلا المجتمع آخذاً بالقيم التي ارتضاها أباؤها؟

وهذا التصور يفيد أن هذه الأمة الخاتمة بما لها من الوسع الخلقي والأفق القيمي، لن تحقق لاحق تقدمها إلا بسابق تخلقها، أو بالعبارة المأثورة عن السلف "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"؛ أي أن تجعل من مخزونها الخلقي أساس تقدمها المادي، فلا يأتي أباؤها سبباً مادياً إلا وقد حصلوا أصله الخلقي وأسه القيمي.



لَمَّا كَانَتِ التَّنْمِيَةُ غَايَةَ المَجْتَمَعِ وَمَسْعَى الجُهُودِ المَبْدُولَةِ مِنْ لَدُنْ أَفْرَادِهِ، لَزِمَ القَوْلُ بَأَنْ أبنَاءَ الأُمَّةِ الخَاتِمَةِ لَا بَدَّ أَنْ يَعْوَا ضَرْوَرَةَ وَصْلِ التَّنْمِيَةِ بِالتَّرْكِيزِ، وَرَبَطَ أَسْبَابَ الحَسَنِ بِأَسْبَابِ المَعْنَى، حَتَّى تَتَحَقَّقَ لَهُمُ الخَاتِمَةُ وَالخَيْرِيَّةُ.

حراه

ومرّبه؛ فقد أراد السلطان أن يكون شيخه بجانبه أثناء الهجوم، فأرسل إليه يستدعيه، لكن الشيخ كان قد طلب ألا يدخل عليه أحد الخيمة، ومنع حراس الخيمة السلطان من الدخول.. غضب محمد الفاتح وذهب بنفسه إلى خيمة الشيخ ليستدعيه، فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناءً على أمر الشيخ، فأخذ الفاتح خنجره وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها ونظر إلى الداخل، فإذا بشيخه ساجداً لله في سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه، وشعر رأسه الأبيض يتدلى على الأرض، ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور، ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجده والدموع تنحدر على خديه.. فقد كان يناجي ربه ويدعوه بإنزال النصر، ويسأله الفتح القريب. عاد السلطان محمد الفاتح عقب ذلك إلى مقر قيادته ونظر إلى الأسوار المحاصرة، فإذا بالجنود العثمانيين قد أحدثوا ثغرات بالسور وتدفقوا منها إلى القسطنطينية، ففرح السلطان بذلك وقال: ليس فرحي لفتح المدينة، إنما لوجود مثل هذا الرجل في زماني.

فلو أمعنت النظر فيما سيق من الشواهد، لمحت بسرعة ركنين عظيمين يتطلبهما كل استئناف يتشوّف إلى بصائر الوصال وحقائق التعرف، وهما الذكر والدعاء.

وأما ركن الذكر فلا يكون كذلك حتى يقع من صاحبه على وجه الإكثار وتخليص الوجهة للمذكور سبحانه، وأما ركن الدعاء فلا يكون أيضاً كذلك حتى يحصل على وصف الاضطرار لله والإلحاح عليه، وإلا فلا يكمل نتاج هذه الأسباب ولا يرقى أفراد الأمة إلى رتبة الانخراط في مواكب الذكر والدعاء في هذا الكون الفسيح، قال تعالى: ﴿تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ

مركز دائرة القيم لدى هذه الأمة الخاتمة- دالة على تحقّق العبودية الخالصة، وداعية إلى الصدق في طلب الحق سبحانه وتعالى، ومنبهة إلى عوالم روحية ترسخ قيم الاتصال بالله تعالى.. فاتحة بذلك آفاقاً في التعامل والتخالق، لا تنتهي إلى حد في رُتب السموّ، ولا تقف عند نهاية في مواقع الجمال، من ذلك قول رسول الله ﷺ في الكسب المعيشي: "لعلك تُرزق به"؛ والإشارة في الحديث منبهة ليس فقط على دخول السبب المعنوي -المتمثل هنا في لزوم محراب التبعيد- في الكدح المعيشي، بل على اعتبار هذا السبب أصلاً متبّعاً تؤوب إليه أفئدة المتوجهين إلى الله، وقاعدة لا ينبغي التفريط فيها، وإلا وقع المؤمن في ضيق ال"أنا" وعنت البعد عن الرزاق سبحانه ومشقة الانفصال عن الحقيقة الاستخلافية للإنسان.

ومنها قوله عليه أزكى الصلاة والسلام: "لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرفكم" (رواه مسلم)، وقوله لطلحة ؓ يوم أحد لَمَّا قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ: حَسْبِيَ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: "لَوْ قُلْتَ بِاسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ"، ففتح عليه الصلاة والسلام بالذكر أمام الصحابة عوالم السعادة الأبدية، وحرك فيهم كوامن الاتصال والوصال في مواقف اليسر والرخاء كما في ميادين العسر والعناء؛ إشعاراً للأمة بمركية الذكر في الإمداد بالنعمة الإلهية، وتحقيق التوازن الإنساني المنشود بين عالم الحس وعالم المعنى، وبين الغيب والشهادة.

وكذلك ما وقع من أمره ﷺ عشية "بدر"، حيث "ما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه على منكبيه"، إبرازاً لحالة العبودية والتذلل التي عليها المعول في حصول النصر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣). وكذلك وقع في تاريخ المسلمين، ومن سير السلف والصالحين كثير مثل هذا.

فهاك صورة تشرق بهذا المعنى في فتح القسطنطينية جسدها الشيخ "محمد بن حمزة" الدمشقي المعروف ب"آق شمس الدين"، وهو شيخ السلطان محمد الفاتح

hiragate.com

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ (الإسراء: ٤٤).

ومن تلكم المواقف ما جاء في سيرة فخر المرسلين ﷺ؛ حيث خاطب الأنصار بعد أن بلغته مقاتلهم وقال: "أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟" (رواه البخاري).

فتأمل هذا الموقف الجليل تجده يُجلي مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الأسباب المعنوية ليست مطلوبة الأخذ وحسب، بل هي الأصل في الأخذ والامتداد لبقاء هذه الأمة واستمرارها في أداء رسالتها الكونية السامية، إذ إن الذهاب والرجوع برسول الله ﷺ الوارد في الحديث مشيرٌ إلى حتمية الاعتصام بمنابع وموارد القيم بدل التشوف إلى لعاعة الدنيا الزائلة، والرضا بذلك يُعدّ من أولى مقومات التقدم والسير الروحي للفرد والأمة على حد سواء. وهذا التنبيه النبوي البليغ حاجة ماسة للذين ذهلوا عن الأسباب المعنوية التي جسدها من كان أعظم سبب، وسبب كل فضل عليه أركى الصلاة والسلام في كل أحواله.

ألا إن من فضيلة هذا الدين الخاتم وفضله، أن منابع القيم والأخلاق فيه لا تنضب قطعاً، رغم تغيرات الحياة ومستجداتها، ورغم تلونات النفوس وتناسل العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والأمم، ورغم تكاثر التوجهات والمعتقدات.. فأمكن لنا بهذه الفضيلة أن نستقي من معينها الفياض في كل وقت وحين؛ فنغيث نفوسنا من خضخاضها الذي تتوحد فيه يوماً بعد يوم، ولا يكمل تحقق ذلك إلا إذا حصل منا تحريك الأسباب المعنوية مقدار تحريك غيرنا للأسباب المادية أو يزيد، فنشهد المنعم قبل شهود النعمة، حيث غفل غيرنا عن المنعم بانغماره في تعاطي النعم.. فلا شيء يُرقي إنسانية الإنسان مثل دخوله في تخلق يصل طينيته بروحانيته ومن ثم عالم شهوده بعالم غيبه، حتى تتنسم الروح عبير أصلها ونسمة وطنها. ■

(*) باحث في الرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

بين عالمين

عالم حي..

بالفكر خفاق، بالفعل دفاق،

بالخير موار، بالبذل فوار،

إنبات وإعمار، جنات وأشجار..

حتى إذا الظلم فشا، والفساد عم،

غدا كل شيء أثاراً بعد عين،

﴿فَتَلَكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾



www.hiragata.com

ليتنا قلمٌ من رصاص

ي يحدث يوماً أن نكتب رأياً، أن ندون فكرة، أن نوّرخ لحظة، أن نوثّق خاطرة.. يحدث يوماً أن نتبنى مشروعاً أو أن نتحمس لموقف.. يحدث يوماً أن ننشئ قناعة أو أن نستخلص عبرة.. ويحدث يوماً أن نتخلى عن فكرة أو أن نراجع تصوراً.

تُرودنا الأيام فتتخلى عن كثير مما ظنناه شيئاً يستحق التأريخ.. ويوماً إثر يوم يظهر عقم ما كتبنا وخطأ ما سطرنا ورؤينا، فيعاجلنا شعور ممزوج بالحزن والهّم، وتعترينا -لأجل ذلك- حسرة في النفس وضيق في الصدر ندماً على ما كتبنا، لدرجة نتمنى معها أننا ما كتبنا، وأن لو صار ما كتبنا إلى الفناء.

وحتى لا نغترف من مرارة هذا الشعور، يستحسن أن نكتب بقلم من رصاص. أجل، فلقلم الرصاص خصائص استثنائية عن باقي الأقلام، جعلته محبوباً ومفضلاً لدى كثير من الفنانين والتشكيليين والرسامين والخطاطين وغيرهم الذين ما أخطأوا في اختياره، لأن كل شيء في هذا القلم جميل؛

إن معنى ثقافة المحو يقتضي أول ما يقتضي،
التعالى عن الأهواء الشخصية والمصالح
الضيقة، والنظر إلى مصالح الأمة والمجتمع
برمته، كما تفرض التحلى بالتواضع والصبر
واللين والتزام الحلم والأناة، بدل السعي وراء
الشهرة والمناصب والأهواء النزوات.

حراه

جميل هو في لونه، ريحه، روعة وقوعه على الأسطر
والصفحات، أخذ في انسيابته وصياغته للكلمات
والحروف والجمل والتعبيرات وكثيرة هي مزاياه.

بيد أنه وبالرغم من كل ما ذكر من مزاياه، فإن له صفة
أخرى ذهل عنها كثير ممن انتخبوه واتخذوه مرافقاً،
وألّفوه أنيساً ومصاحباً رفيقاً في ليالي السهر؛ لأجل
التعبير والإنشاء وبث الشجون والأفراح والأتراح.. إنها
خصلة المحو وذاتية المسح.

إن أرقى ما يتميز ويتصف به قلم الرصاص، تلك
القدرة الهائلة على التراجع والتناسي، وإمكانية النسيان
مع قابلية التجاوز ومراجعة المكتوب، وهي قدرة
لا ينازعه فيها قلم آخر نُسود به عشرات الصفحات،
ومئات الأسطر والكلمات والتعبيرات.. وعندما نريد
التخلي عنها، يأذن ودون أدنى عناد، وبجرّة ممحاة فوق
المكتوب، ندخل ما كتبنا حيز اللاوجود، ليصير ما سودنا
أثراً بعد عين، وعدمًا بعد وجود، نبثه الأفراح والأتراح،
الأحزان والمسرات، الأسرار والأخبار، الحروف
والكلمات، الأحاسيس والآهات.. نشحنه بالمواقف
والاتجاهات، الآراء والقناعات، وحين نريد التخلي
عن ذلك كله ونصطبغ بأفكار وسلوكات أخر، وتنبني
مواقف وقناعات جديدة، لا يتردد في مد يد المساعدة،
ولا يتأخر عن إسعافنا فيما نريد؛ فيمنح مكانه لما جد لنا
من تصورات بكل طيبة وسخاء، بل يحرص على أن لا
يتترك وراءه أثراً استحساناً للجديد، وفرحاً بميلاد فكرة
كان هو سبباً فيها، ووفاء بالأمانة.. وما من شك أن الكل
يلمح في قلم الرصاص التواضع والانمحاء ونكران
الذات، وقليلة هي هذه الصفات في بني البشر.

وبعكس قلم الرصاص هذا، لا ينقضي عجبني من
حال وتصرفات بعض الدعاة والمصلحين، ممن نُصّبوا
أمناء على العمل الإسلامي، أو عنوا بالعمل الجمعي
الخيري أو التنموي. لا ينقضي عجبني من ركوبهم موج
العناد، وامتطاء صهوة الأنفة الجوفاء، والانتصار للنفس،
والجمود على ما اعتادوه من أفكار، لا يرحبون بأي
جديد ولو كان نافعاً، ولا يحبون أي مناقشة ولو كانت
بناءة.. همهم الاكتفاء بالموجود، واعتياد المؤلف،
ومسيرة الماضي وتركه على ما هو عليه، وأي محاولة
للتغيير أو الإنكار، مغامرة تعود على صاحبها بالويل
والنكال.

هكذا أو أكثر.. هو حال عالمنا العربي والإسلامي
اليوم في كل المجالات وعلى جميع المستويات،
السياسي لا يرى غير رأيه حلاً، والجمعي لا يعرف
سوى اقتراحه بديلاً، والفقهي لا يعلم سوى مذهبه
ترجيحاً، والعامي لا يتصور غير فكرته مخرجاً.. وما
هذا إلا حصاد الوساطة المذمومة التي حلت محل
اتباع النص وإحقاق الحق، وتقديس الأفكار التي تؤدي
بصاحبها إلى الخروج عن حدود المؤلف وحمى
المعقول.. وما من مستند لهؤلاء إلا أن الشيخ الفلاني
قالها، أو العالم العلاني قد تبناها أو اختارها، ولا يهم
حجم إيغالها في الغرابة وخروجها عن الحق، فذاك أمر
مستساغ.

ليت بعض الإخوان يكونون مثل قلم الرصاص،
يستحسن الجديد، ويسمح بالتغير، ويرحب بالإضافة
والتنوع، ويتسع أفقه للحوار، لا تُوغر صدره الأفكار
الجديدة، ولا يضيق فكره بالاختلاف، يرحب على
الدوام بكل جديد نافع، ويفتح على كل قديم صالح
ما دام فيه خير وصلاح.. ليت شعري أين بعض البشر
من قلم الرصاص، ما بالهم لا يتراجعون ولا يصححون،
ولا يجتهدون ولا يريدون لأفكارهم تلقيحاً!

إن من استعد ألا يتخلى عن أفكاره وألا يصححها
كمن يحارب بسلاح قديم؛ سلاح القرون الغابرة، وبدقة
أكثر كأنما يود مواجهة دبابة برشاش مهترئ، والأكثر
فداحة في هذا الموضوع، والأعظم رزءاً والأفجع

ليت البعض يكونون مثل قلم الرصاص،
يستحسن الجديد، ويسمح بالتغير، ويرحب
بالإضافة والتنوع، ويتسع أفقه للحوار.. يرحب
على الدوام بكل جديد نافع، ويفتح على كل
قديم صالح ما دام فيه خير وصلاح.

حراه

تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا،
أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام
بينكم" (رواه مسلم). ومن شأن هذا الحب أن يدير عجلة
العمل، ويطرد غيوم الظلام، ويبدد أحزان الماضي،
وينشر الخير بين عموم الأمم.

وليس بخفي أن ممارسة ثقافة المحو يعني أيضاً؛
الاستعداد القبلي للتخلي عما نخزنه ونكتنزه من
ترسبات ماضي الخلافات، وموروثات قديم الصراعات،
والتعامل معها على حد قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤).

ولعله من نافلة القول ومكرر الكلام أن نقول:
إن معنى ثقافة المحو يقتضي أول ما يقتضي، التعالي
عن الأهواء الشخصية والمصالح الضيقة، والنظر إلى
مصالح الأمة والمجتمع برمتها، كما تفرض التحلي
بالتواضع والصبر واللين والتزام الحلم والأناة، بدل
السعي وراء الشهرة والمناصب والأهواء والنزوات التي
ما لها من قرار، بل هي متغيرة بتغير المواقع والأحوال.
ولأجل أن نعتاد تقبل أفكار الآخرين وتكوين ملكة
تقبل الآخر فينا، وكما لا يعتصرنا الحزن والأسى جراء ما
قد نلاقيه من الآخرين بشأن أفكارنا أو قناعاتنا، يستحسن
أن نعود أنفسنا الكتابة وتسطير الحوادث والتجارب
والمشاهدات بقلم من رصاص، وقبل ذلك إجادة اختيار
نوع قلم الرصاص الذي نشتره، فلنحرص على أن
يكون مصحوباً في أعلى رأسه بممحاة ذاتية المسح. ■

(*) باحث في الدراسات الإسلامية / المغرب.

منقلباً، أن يختزل المرء الحقيقة التامة والصواب المطلق
فيما يذهب إليه ويختاره وتطمئن إليه نفسه، ويدعي
امتلاكه وإحاطته لكل جوانب الصواب والتوفيق، زاعماً
أن قريحته ما أخطأت قط، ولا عرفت في تخطيطها
وتدبيرها انكساراً أو تراجعاً، بعقلية "الجحيم هو
الآخرون" .. وما من شك أن هذا الزعم أمر ممقوت
حسناً وشرعاً، وهو أمر مستهجن ومرفوض وإن كان ما
يقوله صاحبه فعلاً صواباً في ذات الأمر.

ولو لم تكن هذه العقلية العقيمة مُودية بأصحابها
إلى الجحيم، لما رأينا النبي ﷺ يحاربها وينزل عند رأي
الصحابه الكرام في مواطن كثيرة، وسيرته العملية ﷺ
مليئة بالحوادث التي تدل على ذلك؛ وقد رأينا ﷺ كيف
نزل يوم موقعة "بدر" عند رأي الحباب بن المنذر كما
يحكي ابن هشام في سيرته.

إن الأمم لا تغادر قافلة التخلف ولا تتجه نحو سلم
التقدم والتحضر، إلا بوحدة الصف واتحاد الكلمة،
وتكامل الرؤى، وترتيب سلم الأولويات مع إيجاد
مخرجات ومسوغات للخلاف عبر اعتباره أمراً طبيعياً،
والسعي إلى جعله مدبراً لا مدمراً، هذا إذا كنا نعتزم
حقيقة إخراج جيل جديد، ونروم صناعة مجد تليد
لهذه الأمة. وهذا لا يتأتى إلا من خلال التحلي بالصبر
والتؤدة، وتجميع الجهود لا السعي وراء تقسيم المقسم
وتجزئء المجزئ، بل ينبغي أن نتحلى بروح التشارك
والتداول السلمي للأفكار، على قاعدة "رأيي خطأ
يحتمل الصواب، ورأي غيري صواب يحتمل الخطأ"،
ولا مندوحة بعد ذلك كله من إشاعة ثقافة غفران الخطأ
والتجاوز عن التقصير والزلل، وبعبارة الدكتور حسن
الأمراني: "إجادة استخدام مبدأ ثقافة المحو".

وحتى نجيد إيجاد هذه المساحة، وتقريب المسافة
بين آرائنا وتصوراتنا وحل اختلافاتنا، ينبغي -حتماً
وضرورة- أن نتقن ممارسة هذه الثقافة، لأنه من شأن
هذه الممارسة أن تجردنا مما علق بعقولنا من أوهام،
وأن تخلصنا مما ترسب في نفوسنا من وغر الصدر
وشح العلاقة، وحقد النفوس وكرهية الرأي الآخر،
آنذاك نكون قد حققنا جانباً من معنى قوله ﷺ: "لا

hiragate.com

البدایات البرّاقة لا قيمة لها ما لم تثمر في النهاية.

الموازين

إستراتيجيات في التواصل الأسري

والرحمة. فكلما كانت مرجعيتهما الدينية واحدة، وتطبيقهما لأحكامها وتوجيهاتها فاعلة، تمكّننا من وضع اللبنة الصلبة لأسرتهم، وخلافاً لذلك تبدو بوادر الفشل والهدم. والواقع يتطلب قسطاً كبيراً من الوعي، والإلمام الشامل بعلم التواصل حتى يضبطا مجموعة من التكتيكات والإستراتيجيات التي ستعمل على تذويب الخلاف وتحقيق طموحاتهما.

ويمكن اقتراح خمس إستراتيجيات للتواصل داخل الأسرة كالتالي:

١- وضع أهداف مشروع الزواج في الاعتبار أثناء كل سلوك: لا أحد يماري في أن الغاية من الزواج لا تنحصر في العفة والسكن والفضل والرزق وتلبية

الأسرة هي المؤسسة الكبرى التي يُسقى منها الفرد حظّه من العاطفة والرعاية والحماية والتوجيه والتعليم الاجتماعي لمنظومة القيم الاجتماعية، وفيها يرتبط ذكرٌ بأنثى ويتقاربان انطلاقاً من إعجاب أحدهما بالآخر. وقد حدد الإسلام الحنيف عامل الدين والأخلاق باعتبارهما شرطين أساسيين لاختيار كل من المرأة والرجل لبعضهما، لقوله ﷺ: "تُنكح المرأة لأربع: لِمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" (رواه البخاري)، كما أكد الإسلام على جمال العلم. وتعدّ هذه الصفات العتبة الأولى لإنجاح الزواج، وتيسير الحياة تحت سقف واحد تملؤه المودة

على الزوجين أن يدركا أنهما يؤسسان لمستقبل الأمة جمعاء، وهو ما يتطلب منهما ترسيخ مناخ نظيف داخل البيت حتى تنمو داخله الأجيال القادمة، فيستنشقوا عبير ما شيده الأبوان، ويترعرعوا في فضاء تملؤه القيم النبيلة التي تعمل على تشكيلهم وتكوينهم على أفضل وجه.

حراه

على احتواء كل منهما للآخر، واحترام خصوصياته ورعايتها رعاية التقدير ترفع من مقامهما وتضمن كرامتهما معاً. فتربة الحياة الأسرية خصبة لنمو بعض الأمراض والعقد التي تعكس صفوها وتفتك بعراها. فالزوجان مدعوان لأخذ الحيطه والحذر، وعدم السماح لإحدى هذه الأمراض بالتسلل إلى حياتهما الزوجية، وإدراك أن كلاً منهما يكمل الآخر، فلا تفاضل بينهما إذن، وهما سواسية في الحقوق والواجبات كما أكد على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث قال ﷺ: "ألا إن لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً" (رواه الترمذي).

فكم هو جميل أن تعتبر العشرة الزوجية فرصة ثمينة كي يتمكن الزوجان من ضبط أخطائهما، وما يعترى شخصيتهما من العقد والطبائع الشاذة مما أفسدته التربية السالفة وأفسده الدهر، وتقويم ما اعوج من الخصال. وهذا هو المسار الذي يجب أن ينخرط ضمنه الزوجان، ويبحثا معاً عن الصور والمظاهر التي تجعل كليهما ينمي حبه ورضاه بالآخر، وذلك بالسلوك الحسن والاهتمام بالمظهر، وملء كل منهما عين الآخر، وبعث الاطمئنان والرضا في قلبه، والرفع من مكانته، خاصة أثناء نصحه أو معاتبته أو مجادلته أو مخالفته، وكل ذلك يقتضي نوعاً من الحكمة والرزانة وعدم التسرع والتهور. ولأن النفس البشرية ضعيفة، ودرجة تحملها تتفاوت من شخص إلى آخر، فالأمر يدعو إلى شدة الحذر حتى لا يقصي أحدهما صاحبه عن قصد أو عن غير قصد، وذلك في كل السياقات السلوكية.

رغبات الجسد المشروعة فحسب، وإنما يسخر هذا كله لأجل بناء أمة ذات عزة وحضارة، تنعم تحت ظلها البشرية، وذلك ترجمة لما يحمله الإسلام من رحمة للعالمين، الأمر الذي يتطلب نموذجاً من الأسر ذات الجودة العالية، كي ينمو في مناخها جيل قادم لبناء غد أفضل، وهذا لا يتأتى بالضرورة إلا إذا كان المؤسسان للأسرة، نموذجين ناجحين في تمكنهما من الرضوخ إلى المرجعية بالتطبيق السليم والصحيح دون حرج؛ فتخلو نفساهما من كل عائق أو هوى، فلا يكون همهما محدوداً عند الجسد وحطام الحياة اليومية ومستلزماتها، ولا يدخلان في صراعات وخلافات من أجلها، حتى لا يصيرا رمزين للهزيمة فيؤسسان أسرة مليئة بالأحقاد والضغائن، يترعرع وسطها أبناء لا يزيدون المسلمين إلا خبالاً، ولا يملكون من الأمر شيئاً سوى الإفساد في الأرض والانحراف.

ولقد أدركت جميع الشعوب أن الكنز الحقيقي يتمثل في أبنائها، وإعداد جيل جديد يرفع من تطورها ونمو حضارتها ويحقق أحلامها. وهو ما دعا إليه الإسلام لتحقيق العدل والإخاء والسلام والحب بين البشر، ومن ثم تغدو مسؤولية الزوجين ورسالتهم مشروعاً شرعياً، به ينالان رضا الله ويفوزان بالجنة.

٢- القبول بالآخر والحذر من إقصائه: لا أحد يجادل في أن الطبع والتربية يختلفان من شخص لآخر، فكل من الزوجة والزوج يتلقى تربية خاصة في أسرته السالفة، كما أن كلاً منهما ينفرد بطبع ومزاج وعادات تختلف عن الآخر. فهما إذن مدعوان إلى قبول كل منهما بصاحبه بعد اتفاقهما على المبادئ العليا لمرجعتيهما، واحترام خصوصياتهما التي قد تكون متباينة ومختلفة بينهما، وإدراك أن هذا الاختلاف ثراء للأسرة، وتنوع داخل الوحدة يجدر بهما توظيفه واستغلاله استغلالاً حسناً حتى يقظا ثماره الطيبة؛ لتصبح بذلك خصوصيات أفراد الأسرة الجديدة يتجاوزان بها التصورات البالية، والتقاليد المتخلفة التي تعم مرافق المجتمع، فيعملا معاً على السمو بعلاقتهم نحو الحب والإخاء والصحة الراشدة. إن هذا القبول المطلوب ليس سوى العمل

hiragate.com

٣- التعاون وتطبيق مقولة مَنْ ومتى وكيف وأين: تتسم

الحياة على هذه البسيطة بالصعوبة والمشقة والمنعطفات الحاملة للمنغصات والآلام، ولذلك يحتاج الفرد فيها إلى مُعين قريب يستأنس به ويقاسمه حياته حلوها ومرّها، ويساعده على مواكبة الحياة ومغالبة صعابها وتخطي أزماتها، ولن يجد الفرد من هو أهل لهذه المكانة إلا فيمن قال فيهما الله سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧). الزوجان معاً هما من سينجب ثمرات جبهما التي تتجلى في الأطفال زينة الحياة الدنيا، وسيشارك الحياة تحت ظلّ واحد، وسيقاومان أمواج الحياة العاتية بقاريهما الصغير ذي المجذافين النحيفين، وعلى درب المودة والرحمة والصحة الراشدة سيذل كل منهما الغالي والنفيس لإسعاد الآخر؛ إيماناً منه أنه يسعد بذلك نفسه لينال رضا الله، فيزداد تسليحاً بالصبر والتضحية في السراء والضراء وحين البأس. وذلك كله بعبودية الصحة على المحجة البيضاء، فيحتل بذلك التعاون بينهما -في أمور الدين والأخلاق والعلم- صدارة القضايا جميعها، ويضعان برنامجاً لجدولة ما يتعلق بالتربية الروحية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦)، بقصد الحوار البناء والبحث عن العوائق التي تعترض كل أعضاء الأسرة، ليقوموها جميعاً ويبدوا أسبابها ونتائجها والحلول قصد تجاوزها.

هنا يجب أن ينتبه الزوجان إلى أهمية مراعاة مقولة من ومتى وأين وكيف، التي نعتبرها في اعتقادنا من أهم الإستراتيجيات التي تعمل على إنجاح المشروع التواصلي، كما تحقق مبدأ التعاون، وتكسر أغلب العوائق التي تحول دون قبول التوجيه والنصح والتذكير، ذلك أن طبيعة البشر تتقلب ولا تستقر على حال واحدة تبعاً لتكوينها النفسي، وموقعها الاجتماعي، والظرف الزمني الذي يرافقها، والفضاء والسياسي اللذين يلازمانها.

أ- مقولة مَنْ؟

يقتضي تطبيق هذه المقولة تعرّف كل منهما على الآخر، التعرف على من يكون؟ ما هو طبعه؟ مزاجه؟

معلومات عن ماضيه التربوي، الظروف التي نشأ فيها، تعليمه، كل هذا سيساعدهما على فهم كل منهما للآخر ويتواصل معه بشكل موضوعي، وسيعرفان حدود طاقتهما وقدر تحملهما، فهناك من هو عصبي المزاج، والمتسم بالعناد، والانفعالي.. وهكذا يصعب تحديد أنماط الأشخاص، كما يصعب ضبط تداخلات الحالات.

ب- مقولة متى؟ وأين؟

جل الأشياء والقضايا والمواقف مرتبطة بالزمن والفضاء فلا شيء يخرج عنهما، وما يصلح في هذا الوقت قد لا يصلح بالضرورة في آخر، وما يجدي في هذا السياق وذلك الفضاء قد لا يجدي في غيرهما.

فمتى يتدخل أحد الزوجين؟ ومتى يعقّب؟ ومتى يسأل؟ ومتى يجيب؟ ومتى يعلّق أحدهما على الآخر؟ كل ذلك يخضع لزمته الخاص، إذ لا بد لهما أن يراعي اللحظة الزمنية والسياق المناسب حتى يتجنباً أي إشكال في التواصل، أو أي صراع قد يقحم الأسرة في نفق من الضياع والنزاع والتبعثر، وكل تهور منهما يمكن أن يعرّض حلمهما للتلاشي، وأبناءهما للضياع. ويعد تطبيق مقولة "متى وأين" من سمات الحكمة، التي يجب أن يتصف بها الزوجان حتى يقطفا ثمار ما يصبوان إليه. فالاحتفاظ بالهدوء والصمت خاصة عند المفاجآت، أمر يجعل المرء يفكر التفكير الصحيح والسليم، ويأخذ الوقت الكافي للتمعن في المسائل والقضايا.

ج- مقولة كيف؟

تلعب الطريقة دوراً فعالاً وناجحاً لضمان الوصول إلى النتائج المرجوة، وهي الكيفية اللائقة والصالحة، على كل من الزوجين إتقانها واختيار أنسب الوسائل والأساليب والإمكانيات. ويعد اللين والكلمة الطيبة والرفق والتمهل من الوسائل الهامة التي يعتمد عليها الكثير من أصحاب التجارب، الذين يجنون بها ما لا يُحصى من الفوائد، ويجتنبون ما يمكن من الصدمات والخلافات.

٤- فن التنازل والمزيد من الثقة: يعرف بعض السياسيين السياسة بكونها إتقان لعبة "فن التنازل"،

لا أحد يماري في أن الغاية من الزواج لا تنحصر في العفة والسكن والفضل والرزق وتلبية رغبات الجسد المشروعة فحسب، وإنما يسخر هذا كله لأجل بناء أمة ذات عزة وحضارة، تنعم تحت ظلها البشرية، وذلك ترجمة لما يحمله الإسلام من رحمة للعالمين.

حراه

منوهاً به في الكثير من آي القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ.

وموقع الزوجة يشمل العديد من الصفات؛ فهي الزوجة والأم والأخت والابنة والمواطنة في سائر الحقوق والواجبات العامة في الحياة. وهي بذلك، المقام السامي، لما تبذله من عطاء وتضحية ونكران للذات داخل الأسرة وخارجها في مهامها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وما تحمله من هموم المجتمع انطلاقاً من موقعها الخاص.. وذلك تبعاً لخصوصياتها المغايرة لخصوصيات الرجل، والتي لم يكن من قبيل العبث، أن رفع الله مقام النساء في العديد من سياقات القرآن العظيم، وطلب من الرجال معاشرتهم بالمعروف: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾، وأمر الرسول ﷺ الرجال بقوله: "واستوصوا بالنساء خيراً" (رواه مسلم). كل هذا وغيره استوجب على الرجل احترام موقع المرأة وتوقيره، واعتبر ذلك أمراً شرعياً لا هوادة فيه.

كما أن موقع الزوج يشمل بدوره الكثير من الصفات؛ فهو الزوج والأب والأخ والابن والمواطن في سائر الحقوق والواجبات العامة في الحياة، مثله في ذلك مثل الزوجة، لقوله ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال".

ولذلك لا يقبل أي تعسف أو مسّ بأي موقع منهما، فكل من الموقعين يخول لهما حقوقاً وواجبات يجب مراعاتها واحترامها والرفع من قيمتها وهيبتها بشكل متبادل، واعتبار أن أي إساءة إلى أحد الموقعين، ما هي إلا إساءة لكلا الموقعين دون استثناء.

ومن ثم يجدر بهما التسلح بالعقل والنظر البعيد

هكذا تلعب هذه الإستراتيجية دوراً وقائياً للزوجين، وتعمل على إنشاء أجواء مريحة تسمح لكل سجيّة أو فضيلة بالترعرع والنمو للمساهمة في بناء جانب مهم من الشخصية.

وتعني هذه الإستراتيجية التحلي بالمرونة والحكمة البالغة، وامتلاك الشجاعة والسيطرة على الذات، وانفعالاتها لجر الخطوة إلى الوراء، والتراجع عن الجدال العقيم أو الصدام ولو كان الحق حليف صاحبه، وذلك حفاظاً على سفينة الأسرة من الاهتزاز، الأمر الذي يتطلب قسطاً وافراً من البصيرة، وبعد النظر والروية والذكاء النافذ.

فإذا حدث أن دبّ خلاف أو نقاش بين الزوجين في أمر ما، فما على أحدهما إلا أن يهرع مسرعاً نحو التنازل، ومبدئياً بساطة حجم الموضوع دون تضخيمه، متجاهلاً كل الخلافات بينهما وقبول آراء صاحبه بتسامح وافر في تجاوز ما قد يصدر عن الآخر من هفوات وانفعالات، وباحثاً عن حلول ناجعة تفضي إلى استقرار الأسرة والوصول إلى بر الأمان.

وهنا ندعو الزوجين إلى مزيد من الحلم والتواضع ولين الجانب ليمتلك كل منهما الآخر، وأن يشد بينهما الحب والتقدير ودوام المودة والعشرة، وأن يوشحا نفسيهما بقيمتي الصدق والأمانة.. فيتمكنان بذلك -وبشكل طوعي- من التنازل وقبول احتمال الخطأ في سلوكيهما، وبالتالي العمل على تصحيحه وتقويمه بشجاعة وجرأة فريدتين، دون الإحساس بالحرج أو الضجر أو السخط أو الكراهية.

٥- احترام الموقع وتعظيم شعائر الله: يمثل مفهوم الموقع داخل علم التواصل أحد آلياته الإجرائية، فكل من الزوجة والزوج يختص بموقع مغاير للآخر، وبموجب هذا الموقع يمتلك كل منهما خصوصيات تتميز عن خصوصيات صاحبه.

وينطلق تحديد الموقع من المرجعيات الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والقانونية. فموقع الزوجة والزوج له في هذه المرجعيات مكانة سامية ومقدسة، وقد خص له الدين الإسلامي مقاماً فريداً

لمعالجة أي شطط قد يتخلل تصرفاتهما، واحتمال الخطأ من الطرفين دون اللجوء إلى نقد غير مُجدٍ أو غير بناء قد يعصف بالأسرة ويجعلها عرضة للتلاشي والضياع.

أما تعظيم شعائر الله، فتكمن أهميتها في كونها تضمن الحفاظ على التوجيهات الربانية في سلوك البشر، لأن تقديس المرجعية الدينية لدى المسلمين، وتحريم الاستهتار بأحكام الدين الإسلامي وأوامره، وتوجيهاته في الحقوق والواجبات -سواء في العقيدة أو الشريعة أو العبادات أو الأخلاق- أمر يجعل عرى الأسرة قوية. كما يمكن الزوجين من التمسك بأحكام الله والاستسلام له في كل الأحوال، والرضوخ لأوامره سبحانه، بدلاً من الغطس في بحر السخرية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دون وعي، أو عن طبع جاهلي موروث.

وكيفما كانت الإستراتيجيات التواصلية الهادفة إلى إنجاح مشروع الزواج، فعلى الزوجين أن يدركا أنهما يؤسسان لمستقبل الأمة جمعاء. وهو ما يتطلب منهما ترسيخ مناخ نظيف داخل البيت حتى تنمو داخله الأجيال القادمة، فيستنشقوا عبير ما شيده الأبوان، ويتعرعوا في فضاء تملؤه القيم النبيلة التي تعمل على تشكيلهم وتكوينهم على أفضل وجه، فهم تاريخ الغد ومستقبل الأمة وأحلامها.

فليُنظر كل من الزوجين أي سعي يختاران، فإما سعيًا مشكورًا؛ وهو ما يتمثل في رفع راية الإسلام والعمل على تحقيق الهدف الأسمى لبناء تاريخ أمة تحيا بنور ربها وتنعم برضاه ﷺ، فيكونا بذلك رمزين للنصر والفوز بالدنيا والآخرة.

وإما أن يكون سعيهما سعيًا مدحورًا؛ وهو ما يترجم خذلانها وضياع رسالتها، بل وخيانتها للأمانة الكبرى. ولن يصدر عن هذه الخيانة سوى أمة مخذولة ترزح تحت وطأة التخلف والقهر والذل والهوان. ■

نداء وترقب

لستُ وحدي من يرقب طريقك،
فكلّ العيون لِمَراك لَهافةً مشتاقة..
في سيرنا المديد كم تعثّرنا،
إعياءً سقطنا، تعبًا جثونا، أملاً حبونا،
واصطكت من البرد أسناننا..
صعدنا الآهات، أطلقنا الأثبات،
وترددت على ألسنتنا التمنيّات والاستغاثات:
أيهذا الماضي أقبل بعيونك الشُّهل،
فقد عيل الصبرُ وطال الانتظار.



النباتات اللاحمة

لديه من الذكاء ما يميز به بين فريسته المرغوبة وما تحمله الرياح من أعواد جافة أو أجسام غريبة، وتبلغ حساسيته أنه إذا تحركت شعيرة واحدة من شعيرات أوراقه بسبب قطرة مطر، لا تغلق الورقة مصراعياً، لكن حين تتحرك أكثر من واحدة -ولو بفارق ثوان معدودة- عندئذ تنغلق الورقة، وتعتمد سرعة الانغلاق على درجة الحرارة وضوء الشمس. لكن من يرى أنيابه الورقية وهي تطبق بسرعة وقسوة على الفريسة، يعتقد أنه إزاء فك نمر كاسر. ومن النباتات الآكلة للحشرات، الكبيرة نسبياً؛ نبات السلوى، والنَّابُط، وجرة العطور القتالة، وهي من النباتات الإبريقية المتنوعة الأشكال والأحجام. ولهذه النباتات أشراك تحوي كمية من السائل تمكّنها من التقاط فرائس كبيرة نسبياً كالضفادع والعصافير والفئران الصغيرة، وربما ساققتها ظروف مرض وإعياء أو جوع إلى هذه الشراك فكانت وجبة للاحمة لنباتات غير راحمة.

كثيرة هي أنواع النباتات عدداً وعدة وعتاداً ودهاءً، ولكل نبتة طريقتهما في جذب وإغراء فريستها؛ فلبعضها أشراك تفتح وتغلق فجأة، ولبعضها مصائد زلقة، ولأخرى بقع دبقة تعلق بها الفرائس دون إفلات. ففي مستنقعات ولايتي "كارولينا" الشمالية والجنوبية الأميركيين، ينمو نبات لاحم (أكل اللحم) يطلق عليه "خانق الذباب"، وعلى صغر حجمه -يصل ارتفاعه إلى حوالي ٣٠ سم- إلا أنه الأكثر وحشية في الافتراس، وأوراقه زاهية اللون، وتضم أطرافها غداً عطرية تشكّل إغراء لا يمكن مقاومته؛ وكل ورقة من أوراقه فلتان، وسط كل فلقة تنتصب ثلاث شعيرات حساسة، وإذا مستها حشرة أطبقت فلتتا الورقة عليها، ليس هذا فحسب، بل تتشابك حولها أشواك على طرفي الورقة كأسنان فخ حديدي تمنعها من الهرب فتلقى مصيرها المحتوم، وتُهضم على مهل -حسب حجمها- في أيام عدة. و"خانق الذباب"

ك



"خانق الذباب" إحدى النباتات آكلة اللحوم، وعلى صغر حجمها فإنها الأكثر وحشية في الافتراس، تضم أطراف أوراقها الزاهية غدداً عطرية مغرية لا يمكن مقاومتها، في وسط كل فلقة من فلقيتها تنتصب ثلاث شعيرات حساسة، فإذا مسّت هذه الشعيرات حشرة أطبقت عليها وأكلتها.

تشبه أوراق هذه النباتات الإبريق، وتنجذب لها الحشرات للونها الزاهي وريحها الكافي، إلا أن طرف الإبريق زلق بشدة، تزلّ عليه أقدام الحشرات فتتزلق إلى السائل أسفل، وعندما تحاول الصعود تعيقها شعيرات متجهة للأسفل. كما يحتوي الرحيق في بعض أنواع من النباتات الإبريقية على مادة مخدّرة تشلّ حركة الفريسة فلا تفر، وهنيئاً بوجبة دسمة هضمًا وامتصاصًا.

أما نباتات "شجرة التنين أو الحية" (*Dracunculus Vulgaris*) و"زنبقة الكوبرا" (*Cobra Lily*)، فتتميز برائحة كريهة وتقتنص فرائسها بنفس طريقة فخاخ الجرة، إلا أنها تتميز عن أكالات اللحوم الأخرى بأن أوراقها لا تحتوي على أنزيمات هاضمة، لكن تعتمد على البكتيريا التكافلية لتحويل الفريسة إلى مواد غذائية.

وتجذب أوراق نبات "حشيشة الدهن" الدبقة الحشرات من فصيلتي الشّياريات والغطريّات، وهذه الحشرات تضر بالنباتات المزروعة في البيوت البلاستيكية ونباتات الزينة المنزلية. ولمكافحة هذه الحشرات يستعمل المزارعون أشراكاً اصطناعية، إلا أنها لا تفرّق بين أنواع الحشرات بل تلتقط أيضاً النحل وذباب الأزهار، غير أن "حشيشة الدهن" تمتاز بأنها لا تلتقط سوى الحشرات المؤذية صغيرة الحجم؛ فهي تلتهم أعداداً كبيرة من الذباب موسميًا.

لكن كيف تُلقح هذه الأزهار دون أن تعلق الحشرة الملقّحة في الشرك؟ إن الأزهار تظهر قبل اكتمال نمو الأباريق -المصائد- وحين يكتمل نموها وتبتدئ

عملها، تكون الأزهار قد ذبلت والحشرات الملقّحة قد انتقلت لمكان آخر. وتلقى النباتات الإبريقية رواجاً في الحدائق، فأزهارها وأشكال أوراقها وجمال ألوانها، تضعها في مصاف نباتات الزينة الأخرى.

وإذا كانت كثرة البعوض تحرم البعض من متعة الجلوس بالشرفة أو في الحديقة مساءً، فهناك نبات "ورد الشمس الشوكي"، ويزرع في سلال متدلّية، فيجذب البعوض بقطرات سائل لزج يفرزه، فعندما يمس البعوض أوراقه تعلق بشعيراتها الدبقة التي لا تلبث أن تتقوس وتُلتصق الحشرات بسطوحها.

ومن بين أصغر المخلوقات آكلة الحشرات، "فطريات" تُوقّع في شركها ديداناً خيطية مجهرية، فلبعض الفطريات كريات دبقة على طرف عُنيقاتها، وبعضها يمتلك عُقدًا ثلاثية دقيقة، فما إن تمر الديدان المجهرية عبرها حتى تضيق هذه العُقد وتحبسها، وحالما تعلق الدودة بالشرك تغزوها خيوط من الفطريات فتقضي عليها فورًا. وتُدرس إمكانية استخدام هذه الفطريات في مكافحة الديدان التي تُلحق الأضرار بالمحاصيل الزراعية.

وهناك نبتة "الدروسيرا" التي تغطي أوراقها زوائد كثيرة تنتهي أطرافها بغدد تفرز مادة حامضية لزجة لاصقة، فإذا ما هبط الصيد على رأس هذه الزوائد يعلق بها، وكلما حاول الهرب زاد اشتباكها في زوائد أخرى تتجمع حولها. ويفرز النبات المواد الهاضمة التي تذيب وجبة الحشرات، وبعد امتصاصها تعود الزوائد لاعتدالها، والورقة لشكلها الطبيعي.

وتنتشر نباتات "هيدنورا أفريكانا" و"ندى الشمس" (*Sundew*) في صحاري جنوب أفريقيا، وهي تنمو تحت

بعض القطريات تمتلك عُقدًا ثلاثية دقيقة، فما إن تمر الديدان المجهرية عبرها حتى تضيق هذه العُقد وتحبسها، وحالما تعلق الدودة بالشرك تغزوها خيوط من الفطريات وتقضي عليها فورًا.





"زنبقة الكوبرا" (Cobra Lily)، لها رائحة كريهة، وتتميز عن آكلات اللحوم الأخرى بأن أوراقها لا تحتوي على أنزيمات هاضمة، لكن تعتمد على البكتيريا التكافلية لتحويل الفريسة إلى مواد غذائية.

هضمياً، إلا أنها تتميز بقدرتها على هضم الفرائس من خلال إفراز أنزيمات هاضمة، ويعتمد بعضها على أنزيمات تنتجها بكتيريا "تكافلية"، وهناك نباتات مفترسة تعتمد على كلا الطريقتين في هضم أجساد الضحايا.

إذن كيف تتحرك هذه النباتات لتطبق على الفريسة بسرعه كبيرة وهي لا تمتلك أنسجة عضلية؟ وثمة محاولات لتفسير ذلك بفهم عملية الاصطياد التي تتم عبر حدوث تبدل مفاجئ في ضغط الماء؛ فعندما تلمس الفريسة الفمّ، تقوم خلايا الجدر الداخلية بنقل الماء إلى الجدر الخارجية، فينتج تقلص حاد وسريع، كما أن عملية الاصطياد تتم عبر نمو الخلايا في أحد جوانب المجسّ أسرع من الجانب الآخر، مما ينتج عنه إطباق الجانب النامي.

إن عالم النبات عالم رائع غريب، وفيه نباتات أعرب، وثمة علاقة قديمة ومعقدة بين الإنسان وعالم النبات ببذوره وجذوره وأشجاره وسيقانه وفروعه وأزهاره وأثماره.. وها هو الإنسان يتأمل ويستثمر النباتات اللاحمة لخدمته أيضاً.. والمتأمل في عالم النبات، يجد هذا الكم الهائل من أنواعه دالاً -ليس فقط- على نعمة الإيجاد من عدم الخلق، بل أيضاً على هداية وإرشاد وتعليم الله تعالى لها، كي تؤدي دورها ووظيفتها وتنال رزقها.. ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

الأرض ولا يظهر منها سوى زهرة مفترسة، وهذه الزهرة هي عبارة عن مصيدة تصطاد بها فرائسها من الحشرات والخنافس، من خلال إطلاق رائحة تقوم بجذبها إليها، ثم تطبق عليها وتتلذذ بالتهاهما بعصارة قوية هاضمة. أما نبتة "السُنْدَب" فمائية تنمو أوراقها تحت الماء، وتمتلك عدة أكياس كل منها مزوّد بشرك وعدد من الشعيرات الطويلة، عندما يقترب صيدها -كبرغوث الماء وغيره- ويلامس الشعيرات؛ ينفتح الكيس وتُسحب الفريسة لداخله، وينغلق عليه تحت تأثير فرق الضغط داخل الكيس وخارجه.

وعلى جانب آخر، لا تقع كل الحشرات فريسة سهلة لهذه النباتات اللاحمة؛ فذبابة اللحم -مثلاً- لديها زائدة على أرجلها تعمل ككلايب متسلقي الجبال وتسمح لها بتسلق الشعيرات المنحنية إلى أسفل في النباتات الإبريقية، وعندما تفقس بويضاتها، تقتات يرقاتها على الحشرات المتحللة، ثم قبل أن تبني شرانقها، تحفر ثقباً في الورقة الشبيهة بالإبريق وتخرج منها.

كما تحيك بعض العناكب نسيجها بمكر على أعلى نبتة "النَّابُط" لتسبقتها لاقتناص الحشرات الجواله. كما يمتاز نوع من العناكب بطبقة خارجية تسمح له بالاختباء داخل العصارة الهضمية في حال إحساسه بالخطر.

كما يزحف "البق الحشاش" حول فمخ النبات المفترس ويتناول وجبة دسمة من الحشرات المأسورة في الفمخ دون أن يقع، ثم يلقي بفضلاته في الفمخ فيقوم النبات بامتصاصه لكونه وجبة متحللة جاهزة للهضم.

من المألوف أن تقتات الحيوانات المفترسة على فرائس لاحمة، لكن من المدهش وجود نباتات لاحمة أيضاً -وهي كغيرها من النباتات- تنتج غذاءها ذاتياً، وذلك عن طريق "التمثيل الكلوروفيلي" وتحويل الطاقة الضوئية (الشمس) إلى طاقة كيميائية في وجود الماء وبعض العناصر.. ولكن لديها أعضاء متحوّرة تمكّنها من اقتناص بعض الحشرات والحيوانات الصغيرة وافتراسها؛ لتكون مصدرًا إضافيًا للتغذية، كونها تنمو في بيئات ومستنقعات فقيرة نسبياً في عنصر النيتروجين الميسر والهام لنمو النباتات، ومع أنها لا تمتلك جهازًا

سلامًا

وصرخة أضلعي ولهاث آهي
فقد يبس الكلام على الشفاه
وأعزف في المراعي للشياه
وقد حلت بساحتنا الدواهي؟
وأعين شائنيهم في انتباه
أتعصمنا الزواجر والنواهي؟
وكلُّ قد يقتل لاشتباه
وتحرق أرضنا والقلب ساه
مع الحدثين تسلمنا لآه
فما جرح جراحتنا يضاهاي
عن الدم وهي تجار يا إلهي
يؤزق أمرهم ذلُّ الجباه
ويأنف أن يساق ولو لجاه
فقيصر حاطب في جبل شاه
بأيدي السادرين لدى الملاهي
وللشعب الأجين من المياه
فكلهم تفنن في سفاه
وكان النفط داهية الدواهي
إذا صرنا نُجْر إلى المتناه
ولم أعزف أناشيد الرفاه
وحبل سواه لو أدركت واه

سلامًا واغفروا زفرات قلبي
سلامًا واشربوا أحزان روحي
وكم منيت نفسي أن أعني
ولكن كيف والدم تاج رأسي
رأيت المسلمين ذوي منام
وصبحنا ومسانا اقتتال
أرى الأعداء في أرضي سكارى
وتهلك ضرعنا والعقل غافل
وأورق حزننا شوگا فآه
تناولنا الغواة ونحن صم
تبصر هل ترى أرضنا تناءت
فأني فم سيصدح والبرايا
يجوع الحر أو يلقي المنايا
فلا تأمن سيوفًا لامعات
رأيت أمور قومي يا لقومي
شراب القوم من نبط مصفى
ولم ينفع يمين أو يسار
وكلهم يرى غنما بقومي
إذا الريان تاه فما عجيب
أخي عذراً إذا ما جف عودي
ويعتصم الحزين بجبل طه

(*) رئيس تحرير مجلة المشكاة / المغرب.



الفراغ الأخلاقي المعاصر وواجب تجديد منظومة القيم

يسكن فيها وأن يسكن إليها، لكي ينجز مشروع التقدم، ويعي الكون وعيًا علميًا ويصل إلى السعادة المفقودة. وكان هذا التعاقد بين إنسان الحداثة والرؤية الحديثة إلى العالم لزمان مفتوح يكون الإنسان فيها سيدًا على العناصر كلها، كان هذا التعاقد مصدرًا لاعتزاز الحداثة بمشروعها.

غير أن هذا الاعتزاز بهذه الرؤية الحديثة إلى العالم لم يتجه بالقيمة إلى مكانها الحقيقي، وقامت العقلنة بعملية التحوير والإفراغ للقيمة من دفتها الروحي والحيوي، وجمدتها في أنساق العقل المتصلبة، في حين أن القيمة ليست موضوعًا للعقل، ولا موضوعًا للعلم، إنما هي موضوع للوجدان. لقد توهم العقل الحدائثي أن إدراك القيمة يعني تحليلها، غير أن إدراكه

إن المسؤول عن أزمة القيم، ليس شخصًا مشخصًا نسميه ثم نقدمه للعدالة الأخلاقية التي يكون الضمير فيها قاضيًا، ولا مذهبًا فلسفيًا خطر على عقل فيلسوف جاهد طويلاً كي تبرق في ذهنه هذه الفكرة، أو تكون هذه الإرادة التي تريد أن تشبع نهمها الغرائزي وقواها الغضبية والشهوانية. كلاً! إن المسؤول عن أزمة القيم بخاصة المتعالية منها هي رؤية مخصوصة إلى الإله والإنسان والكون، رؤية إلى العالم أمسكت بالوجود وانفعلت فيه وعبرت عن نفسها من خلاله، وسارت في موكب هذه الرؤية الإنسانية بخاصة الأوروبية منها، التي أصبحنا نؤرخ لها من ميلاد العصور الحديثة، كيان على شهادة ميلاد رؤية جديدة إلى العالم، كان على الإنسان أن

إ

لها تحليليًا تسبب في تدميرها وإفراغها من مضمونها الشعوري، المضمون الذي يُعاش ولا يحلّل، المضمون الذي يُدرك القيمة بقدر تفاعلنا وجدائياً معها، ويتصاعد بقدر امتلاء القلب بعشقها وحبّها، وليس بقدر إسكانها في أنساق المجتمع المنفعية المتغيرة، أو اختزالها في دوافع نفسية لا واعية.

إذن وبعد أن استباننا المآلات الانحطاطية لمشروع الحداثة الأخلاقي، الذي يفصل القيمة عن منابعها الحيوية بسبب الرؤية العلمية إلى العالم، وبعد أن استباننا هذا المشروع الذي أفقر الذات الإنسانية من حيث روحانية القيم، فإن ما يلوح في المستقبل هو أهمية التشريع لحالة نقل القيمة من ربتها الجزئية والاختزالية إلى رتبة المقومات الكلية، أو من أبستمولوجيا الفصل إلى أبستمولوجيا النماذج المؤسسة والكلية، التي ترى في منظومة القيم معايير كلية تنتظم وتتقوم بها مختلف الفاعليات الإنسانية من المعرفة إلى الحياة في النظر كما في العمل. إننا نروم إعادة تنزيل القيمة بمعناها التوجيهي وبمعناها التأسيسي الكلي، وهذا موقف حصوله على إعادة بناء المفهوم الحقيقي للقيمة، واستعادة دوره التفعيلي والتوجيهي، وذلك في صلب الإشكالات الراهنة التي يظهر فيها الانفصال بين القيمة والحياة، وكيف عالجتها اجتهادات معرفية معتبرة تعطي للقيمة منزلتها الكلية، إدراكاً منا بضرورة استئناف النظر في السبل المنهجية الجديدة، التي ندخل بها طريق تخليق الوجود الإنساني، لأن العالم يشهد تحولاً منتظراً نحو نظام أخلاقي جديد، يستوجب منا تجديد سؤال القيمة الأخلاقية، من حيث مكانتها ودورها المنهجية في العلوم وفي الثقافة وفي السلوك وفي الفنون.

لماذا يجب أن نجدد منظومة القيم؟

إن المعيار الأساسي الذي نمر به عبر موضوع القيم قبل الكلام في ماهيتها أو مفهومها، الكلام أولاً في جملة المسوغات التي تجعل مسألة القيم مركزية وأساسية، بخاصة أن ما تطالعنا به مشكلات الإنسان المعاصر (الشعور بالاعتراب، فقدان المسوغات، الانفصال بين المبدأ والسلوك، أفول الواجب، العقل الأعمى، المعرفة

المعلولة، عزلة الأخلاق، ما بعد الأخلاق) يؤشر على مدى انعدام قيمة القيم والدخول في لحظة العراء من المعنى أو الفراغ من الأسس.

ويمكن لنا رصد هذه المسوغات التي دفعت بالقصد الإنساني إلى استعادة سؤال القيم مجدداً، ليس باعتبارها رهاناً وإنما باعتبارها ضرورة في الآتي:

١- حلول العدمية وإمسائها بالحياة، وهذا بعد أن تفككت الشرعيات الكبرى أو ما يسميها "جون فرنسوا ليوتار" "موت السرديات"، أو بالأقوى؛ الأسس المرجعية التي تمنح المعنى للسلوك والحياة. والأدهش أن هذا "الموت للسرديات" زحف أيضاً، فضلاً عن الدين والأخلاقيات الدينية، إلى وعود الحداثة والرؤية العلمانية للمعرفة والحياة، منها -تمثيلاً- مذاهب القرن الثامن عشر المتصلة بتحرير المواطن، أو الإقرار بأن التاريخ مبحث عقلاني غائي تشكله الروح الواعية بذاتها، أو الماركسية وعودها في مجتمع من دون طبقات، أو العلموية (الإفراط في الثقة بمنهج العلم) مع فرانسيس بيكون ويوتوبياتها حول إنهاء المرض والشيخوخة، أو التحليل النفسي الفرويدي بعوده التي لازم فيها بين التحرر من الإكراهات وحصول الصحة النفسية للإنسان الحديث. والشاهد الأمثل على هذا الانقلاب الأخلاقي صورة الأخلاق الكانطية؛ فإذا كان الواجب الكانطي يعبر عن صيغة أخلاقية كلية وشاملة، فإن الواجب في عصر ما بعد الحداثة أضحى سرديّة قديمة فقدت مشروعيتها، واللازمة المنطقية هي أن حلول العدمية وموت الأيديولوجيات يؤديان إلى نزاع شرعية عن المبحث القيمي وما وراء الأخلاق، فضلاً عن موت الأيديولوجيات.

إن الفردية المنبثقة عن هذا الموت قد طلعت من جديد، ومعناها أن يتخذ الفرد من ذاته مثلاً أعلى وقيمة توجيهية معيارية. إن الفردية المعهودة في تجربة الحداثة تُبصر في المجتمع جداراً عازلاً عن بلوغ ذاتها بسبب أخلاقه المغلقة، بينما الفردية تبتغي أخلاقاً مفتوحة، ومن شعاراتها التي كانت ترفعها التحرر من إدارات المجتمع أو الدولة أو المؤسسات الدينية، بينما الفردية

يبدو أن العلة الكامنة خلف الانشطار في تأسيس الأخلاق، وأوجه التداير والتناظر بين مذاهبها، أنه لم تعد هناك نظرة موحدة إلى العالم تجمع الجوانب الإنسانية في ناظم كلي يرتب الحاجات ضمن سلم في القيم، يمنح لكل جانب من جوانب الإنسان حاجته.

حراه

الهيمنة والسلطة، وأرست في نقديتها أن الاعتقاد بوجود قانون أخلاقي كلي قد تصدع أمام الإقرار بأن مصدر الأخلاق هو إنساني بحت. فالميل إلى الاعتقاد بالنسبية التاريخية والثقافية، مثل المحاولات المتعددة لتجريد القيم من قدسيته وتحويلها إلى أغوية أيديولوجية تستتر خلفها آليات سلطوية، أسهمت في زعزعة الاعتقاد الفلسفي والديني والفني بالحق والخير والجمال كقيم مطلقة.. هذه الأزمة القيمية الكبرى التي هزّت بعمق القرنين الماضيين، أفضت إلى تشويش الثوابت اليقينية في اتجاهات متعددة.

جلي إذن أن ثمة لفتة إلى قيمة القيم في ظاهرة الأزمة بحد ذاتها، وذلك بإرادة النظر إليها باعتبارها تُمثل الهوية الجوهرية التي تمنح القيم الأخرى قيمتها، وفي منظور الأخلاقية الدينية تُرفع الدلالة الوجودية الإنسانية إلى مقام الدلالة الأخلاقية. فالأمانة التي كلف بها الإله الإنسان هي الأخلاق، ويقول المرحوم "إسماعيل الفاروقي" مؤكداً على هذه الحقيقة: "وما الأمانة أو المشيئة المقدسة التي عجزت السماوات والأرض عن تحملها، إلا القانون الإلهي المؤسس على حرية الخليقة، أما فيما يتعلق بالسماوات والأرض، فإن إرادة الله تعالى تتحقق بالأمر الإلهي التكويني". ومن هنا فإن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتوفر في فعله الشرط الأخلاقي وهو الفعل الحر. والقيم الأخلاقية أرقى من القيم الأولية الطبيعية، حيث إنها تستبطن قبولها هي والقيم النفعية الوسائل مسبقةً وتجاوزها، ومن ثم تتبوأ مكانة أسمى من كليهما. ومن الواضح أن القيمة الأخلاقية للفعل الحر هي الشق الأسمى من الإرادة الإلهية التي لأجلها خلق الله الإنسان، وأنعم عليه بأن جعله خليفة بأمره في الأرض.

المعاصرة التي وصفها "جيل ليوفتسكي" في مؤلفه "عهد الفراغ محاولة في الفردانية المعاصرة"، فإنها لم تُعد تشير إلى انتصار الفردانية على القواعد الإلزامية، أو كسر ألواح الأخلاق المغلقة، بل تدل على إنجاز أفراد غربيين على الأنظمة، على القواعد، على شتى الإلزامات مهما كان مآتها، على الخضوع لسلطة واحدة، ماذا نلقى في هذه الفردية المعاصرة؟ مُتّع النرجسية بأكثر مما نجد من سبيل للاستقلال الذاتي، نلقى تفجّر الاستمتاع بأكثر من غزو للحرية، أولوية قيم الاستمتاع، إباحيات، نفسانيات، ولجنا عصر النرجسية، إنه زمن السلوك النرجسي.

٢- المكانة المحورية للقيم في نظام الحياة الإنسانية، إذ هي التي تحدد نظام الحاجات ومستوى إشباعها، ذلك أن ثمة حلقتين: حلقة الفكر وحلقة الإرادة، فالفكر يفكر في الحاجات ويحدد مراتبها (روحية وعقلية وحسية)، أما حلقة الإرادة فتحدد التوجه لتتحرك الجوارح إلى نيل مقصودها، وتقسم القيم التي تشبع الحاجات إلى قسمين: قسم القيم المعيارية، وقسم القيم النسبية. والمقصود بالقيم المعيارية تلك التي لها معيار تقيس به صوابية وسائل إشباع الحاجات وسياساتها. وفي هذا المعيار نقرر الوسائل الصائبة من الخاطئة والحلال من الحرام.. أما القيم النسبية فهي التي ليس لها معيار عقدي مسبق، وإنما تستند في صوابيتها ومشروعيتها على نسبة رغبات الأفراد والجماعات. والعامل الحاسم في هذا النوع من القيم هو ما تجمع عليه الأكثرية في المجتمع. وخطورة هذا النوع من القيم أنه متذبذب الصوابية والبقاء بتذبذب رغبات الأفراد والجماعات، ولذلك يفرز أشكالاً مضطربة من المشكلات النفسية والاجتماعية. وفي مستوى الواقع المشهود فإن القسم الثاني هو الذي هيمن، لأن الانفصال عن القيم العليا قد فتح المجال على تعددية مفتوحة، بتنا معها لم نعد نعرف ما الذي نعنيه بكلمة القيم.. وثمة منح فلسفية أسهمت في تجريد القيم من طبيعتها المقدسة، ونظرت إليها كمنظورات تعكس من جهة أولية نمط وجود الكائن، وتعكس من جهة أخرى قناعاً صامتاً يطلب

hiragate.com

٣- ازدياد الحاجة في نسق اهتمامات الإنسان المعاصر

إلى منابع أخرى للمعنى؛ وسبب هذا الازدياد لمصادر أخرى للمعنى وقيمة الحياة بدلالة تتجاوز الدلالة النفعية؛ فمثل مشاريع نَسَبَةِ القيم في تلبية هذه الحاجة الإنسانية العميقة، أو في تقديم إجابات مقنعة عقلياً، وشفافية نفسياً لأسئلة الوجود والمعنى ومصير الإنسان بعد أن قرئت أنظمة القيم الأخلاقية الهادية والسامية وفق مقولات النسبية التاريخية. وأسهمت في هذه النتيجة أو هذا المآل المؤسسات التعليمية الغربية وأنظمتها المعرفية، التي تمكّنت من إحداث القطيعة بين الحقيقية الروحية الأخلاقية والحقيقة العلمية، من خلال نقد النظرة الدينية إلى العالم ونشر العلمنة بما هي انفصال عن القيم التوجيهية، وعلى مكارم الأخلاق في المجال العام أولاً، وفي المجال الخاص ثانياً، وكونت بعد هذه القطيعة مع أخلاق الدين، منظومات أخلاقية لا تحمل توجيهها أخلاقياً رافعاً نحو مكارم الأخلاق، وإنما تحمل رؤية إلى العالم تجد ركائزها المحورية في:

- اختزال رحابة العالم في الدلالة الحسية والمطابقة بين الوجود والمحسوس.
- توجيه المعرفة نحو المصادر الحسية ونحو تنمية دوافع القوة والهيمنة، وذلك بفصلها عن أية مقاصد أخلاقية وأبعاد توجيهية.
- ابتكار منظومة قيم مجتمعية لا تتأسس على مرجعيات دينية وفيما بعد عقلية مثالية، وإنما هي مرجعيات نسبية مؤقتة، تعكس إرادة تدير الكائن لشروط وجوده ضمن ظروف حياتية مخصصة، فهي تارة معيار أخلاق الواجب وتارة معيار العواقب المنفعية.. وأحياناً أخرى معيار الفردانية. ولا عجب بعد الجديدة، وأحياناً أخرى معيار الفردانية. ولا عجب بعد هذا الانفراط في المبادئ، أن يطالعنا حكماء الأخلاق المعاصرون بظاهرة الخروج عن الأخلاق بصورة كلية.. ونذكر من هذه الاتجاهات الخارجة عن الأخلاق، اللاطبيين ورئيسهم في ذلك هو "جورج إدوارد مور"، ومذهب النسبية الأخلاقية في نسختها الأنثروبولوجية، والنزعة الانفعالية مثلما تظهر لدى "أجي آير"، وفكرته

عن البرهان الأخلاقي المستحيل.

وإنه ل يبدو أن العلة الكامنة خلف هذا الانشطار في تأسيس الأخلاق، وأوجه التداير والتنافر بين مذاهبها، أنه لم تعد هناك نظرة موحدة إلى العالم تجمع هذه الجوانب الإنسانية في ناظم كلي يرتب هذه الحاجات ضمن سلّم في القيم، يمنح لكل جانب من جوانب الإنسان حاجته التي تجعلها شرطاً للتوازن ضمن نسق كلي ملمحه الجوهرية هو التركيب بين الطبيعة والضّمير.. وهذا التركيب هو روح المنهج المتوازن، الذي تتوسط أحواله بين الشدة واللين، بين الطبيعة والفضيلة، بين المادة والقيمة.. وبالتالي فإذا لم يتوفر هذا الناظم المنهجي التركيبي، فإن مآل أساس الأخلاق سيزيد في تشعبه وسيلانه، ويتعد أكثر عن التكامل الأخلاقي بين الطبيعة والضّمير كصيغة من صيغ التركيب المنهجي الكلي، والذي يمكن أن نطلق عليه صفة الفلسفة ثنائية القطب، الضّمير والطبيعة، أو الطبيعة والقيمة. وإذ تبين هذا، فإن حاجة الحاجات رهنها هي التربية على القيم لتكييف الطبيعة مع قانون القيمة بمنهجية تركيبية تكون فلسفة الثنائية القطبية نبراساً هادياً لها. وهذا بسبب مصادمة الأنساق الأخلاقية الغربية المؤسسة -في أغلبها- على الاتجاهات الفلسفية والمادية، ومصادمتها للهيئة الخلقية والروحية التي انطوت عليها نفس الإنسان. إن للعالم جانبيين؛ روحي وآخر مادي، الأول ينتمي إلى الطبيعة التكوينية غير الحرّة، والثاني ينتمي إلى عالم القيم أو عالم الطبيعة الأخلاقية الإنسانية. وإن أغلب مناحي الاضطراب تأتي من سعي الجانب المادي إلى اجتناب الروحي، أو من تهميش الروحي للجانب المادي، وهو أحد أعراض مشكلات القيم في الفلسفات التربوية المعاصرة. والفلسفة ثنائية القطب تقدّم حلاً جذرياً، لأنها موصولة أكثر بالقناعات الأولى والصور الإدراكية الأصلية التي تُشْرَعن للتفكير والتفعيل. ■

(٤) كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف / الجزائر.



التجديد محاولة لفهم المصطلح

لقد أثارت الدعوة إلى تجديد الفكر الديني كما يقول البعض، أو تجديد الخطاب الديني كما يقول البعض الآخر. تساؤلات عديدة حول مصطلح "التجديد"؛ نتيجةً لخروج المصطلح من دائرة الدراسة والبحث إلى العلن. فالتجديد -كمصطلح- ظل حبيسًا في أدرج الدراسة الأكاديمية المعمقة إلى أن أخرجته الميديا بفعل فاعل؛ ليدخل المثقفون في جدل جديد ينضم إلى صراعات كثيرة ذخرت بها أدوات الإعلام.

والإشكالية أن التجديد تبادرته أذهان المثقفين، وكلُّ يُلصق به تهمة هو عارٍ عنها وبريء منها؛ فمنهم من رأى أن التجديد عبارة عن هدم التراث الإسلامي بالكلية، واختراع منهجًا جديدًا وزعم أو وهم أنه يتماشى مع العصر وتطوره.. ومنهم من ادّعى أن التجديد مصطلح موهم لا يُفهم ولا يمكن تطبيقه في ظل ثوابت الشرع.. أو من رأى أن نظرية التجديد ما هي إلا أداة لتشويه الفكر الإسلامي، وإعلاء

نظريات أخرى غريبة تدعو إلى علمنة المناهج كافة. وهذه الرؤى -أو الدعاوى- توالدت كل واحدة منها من الأخرى بسبب انعدام رؤية الوجه الحقيقي لمصطلح التجديد، مما مثل سبباً رئيساً في ظهور هذه الدعاوى التي توالدت. كيف؟ إن الخطاب الديني الذي يسعى البعض إلى إسناد التجديد إليه، لا يمكن أن يفهم على أنه تجديد الخطاب الشرعي للمكلفين، إذ سيكون المعنى تجديد أحكام الإسلام التي شرعها الله تعالى، وحُكم الله تعالى ثابت لا يتغير. وهذا ما حدا ببعض الذين أخضعوا النص للعقل أن يستسيغوا ويستمرئوا توجيه النص وبتره من سياقاته وتغيير دلالاته، واختراع حكم زعموا أنه يتماشى مع العصر، وسمي هذا بالفكر التطويري في الإسلام، ورواده يحذفون ويغيرون ويبدلون، ثم سمّوا عملهم هذا "تجديداً"^(١).

وهذه الرؤية المجحفة للتجديد، انحصرت في توجيه النص الشرعي الذي يعني خطاب الله تعالى للمكلفين بأحكامه، إلى التوافق مع العصر، والتطوير بإعمال العقل في النص من خلال نظريات غريبة؛ فتولد عن هذه الرؤية المجحفة رؤية أخرى رافضة للتجديد على أنه آلية لتشويه الدين والفكر الإسلامي، وطعن في الثوابت الشرعية.. ثم خرجت مفاهيم أخرى بناء على هذين الاتجاهين تقول: لا نفهم للتجديد معنى، أو هو مصطلح موهم، أو لا يمكن تطبيقه في ظل الثوابت الشرعية التي لا تتغير.

وهنا تنحصر إشكالية المصطلح في انعدام الوجه الحقيقي له، وفهمه على غير هدى، والابتعاد عنه لما علق به من اتهامات، مع أن الأولى تحريره من أيدي العابثين الذين تبنوه على أنه آلية لهدم الدين الإسلامي والظعن فيه.

وهذه الإشكالية أظن أن انفكاكها وحل لغزها كامن في الإسلام ذاته، فلا حاجة لنا لرؤية غربي دخيل، أو لنظرية واردة شاردة أو مشوشة، أو لرأي متعصب لا يرى ما في الإسلام من وسطية مرنة، واعتدال بميزان دقيق تفتت عنده نظريات التطوير الذي لا يعترف بالثوابت، وتنسف معه نظريات الهدم ومعاوله، وتطمئن

عنده القلوب المؤمنة الباحثة عن الهداية بعدما حيرتها الدعاوى التي تلاعبت بالعقول بكلام معسول.

فالإسلام الحنيف وضع هذا الميزان الذي يسقط معه كل طغيان، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿۱﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿۲﴾﴾ (الرحمن: ٧-٨). وعلى ضوء هذا الميزان وأنواره، فليس التجديد في الإسلام إلا بمعنى "العودة بما يقع في الواقع إلى الأصل الشرعي"، ليحكم هذا الأصل الشرعي المستجدات الواقعة في كل زمان، بحيث يكون التجديد للتجديد في الواقع بموجب الأصل الثابت الذي لا يتغير، أي إن الوقائع والمستجدات العصرية تلبس ثوباً شرعياً جديداً بعرضها على نصوص الإسلام وأحكامه العظام، الذي جعله الله تعالى معجزاً في نصوصه فتوافقت مع الزمان والمكان في كل عصر حالٍ أو آتٍ.

مصطلح التجديد في الإسلام

ولمزيد من الفهم وزيادة في العلم، فإن هناك عدة محاور يتكون منها الفهم الكلي والصحيح لمصطلح التجديد في الإسلام:

الأول: التجديد يسعى إلى إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن، ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها.

الثاني: التجديد يرفض البدع والمحدثات، ويعمل على تنقية الإسلام مما علق عليه من أفكار ليست على هديه، والعودة به إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ.

الثالث: التجديد يستخدم آليات تنزيل الأحكام الشرعية على ما يستجد من وقائع وأحداث عصرية، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي^(٢).

وهناك محوران رابع وخامس -في رؤيتي الشخصية- ينضمّان إلى المحاور الثلاثة المتقدمة، ينجلي معهما المفهوم الكلي لمصطلح التجديد.

الرابع: فيه يضع التجديد "الإمام والداعية" أمام الوسائل والأساليب العصرية المشروعة لتبليغ الشرع الحنيف دون رفض، ودون هدم للقديمة أو التقليدية، وإنما يكون الجديد بجوار القديم، ويكون القديم

أصلاً ومرتكزاً تقوم عليه مشروعية الوسيلة العصرية والأسلوب الدعوي الجديد.

وهنا يتلاقى في فلك التجديد الأصيل بالوارد الجديد؛ فيعطيه لباس "المشروعية" طالما أن الجديد يهدف إلى بلاغ الشرع الحنيف، فقد قال ربنا لنبينا ﷺ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨٢)، والبلاغ بالوسائل والأساليب الجديدة والتي تصور التجديد من جزئيات البصيرة التي ذكرها ربنا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨)؛ إنها البصيرة التي تعني اليقين والبرهان العقلي والشرعي، والمعرفة التي يميز بها المسلم الحق من الباطل^(٣)، ومن المعرفة (البصيرة) اختيار الوسائل المناسبة للدعوة إلى الله تعالى في العصر الحديث، فإذا كانت هذه الآية - وغيرها الكثير في كتاب الله - توجب على المسلم الدعوة إلى الله، فإنها توجب لوازمها من الوسائل والأساليب عند التطبيق في كل زمان وعصر، وعليه توجب "التجديد في الوسائل والأساليب"، عملاً بالقاعدة الفقهية التي تقول: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

إن الداعية عليه عبء التجديد في الوسائل والأساليب المشروعة لتوصيل ألوان الهدايات، وتوصيل الإسلام إلى شتى بقاع الأرض.. فليس مهمة الداعية الاستقرار على النصح والإرشاد، فمع نبل هذه المرتبة إلا أن التجديد يتجاوزها إلى الانشغال المستمر بقضايا المسلمين، وتحديث وسائل الدعوة والنظر في أساليبها، والبحث عن ميادينها الجديدة والقفز إليها، والنهوض بمستوى الوعي الديني للمدعوين.

إن هذا المحور تبلور فيه صورة الوسائل والأساليب الجديدة والعصرية التي يستخدمها الدعاة إلى الله تعالى في علاج القضايا الآتية:

١- وسطية الإسلام واعتدال منهجه ورفض الغلو ومناهج التطرف والتكفير.

٢- التعريف بمشروع الإسلام العام لإصلاح الحياة الإنسانية وكفائتها، والتعامل مع مستجداتها، وأطوارها وتطوراتها وطوارئها باحتواء، دون اصطدام من منطلق

ليس التجديد في الإسلام إلا بمعنى "العودة بما يقع في الواقع إلى الأصل الشرعي"، ليحكم هذا الأصل الشرعي المستجدات الواقعة في كل زمان، بحيث يكون التجديد للجديد في الواقع بموجب الأصيل الثابت الذي لا يتغير.

حراه

الأصالة والمعاصرة.

٣- تصحيح صورة الإسلام في الغرب الذي تغيرت صورته الذهنية في العقول، فأوه دمويًا بسبب أفعال بعض المنتسبين إليه.

وغير ذلك من القضايا التي تتطلب تجديدًا في الوسائل والأساليب.

الخامس: وفيه يضع التجديد خطة التحسين المستمر للأداء الدعوي، ويتعد بهذه الخطة عن معنى الهدم أو تغيير الثابت. وهذا المحور له سلف في قولهم: "تجديد الفقه" بمعنى جودة الفهم، والاستنباط، والابتكار في تنزيل النص إلى الواقع طوعًا للقواعد المعروفة في أصول الفقه. وعليه فإن "خطة التجديد الدعوي" تعني جودة فهم المخاطبين وواقعهم، وما يحتاجون إليه من ألوان الهدايات، ثم الرجوع بما يوافق حاجتهم وواقعهم وما يناسب حالهم إلى القرآن والسنة.. ويجتهد الداعية في تحسين الأداء بما يوفقه الله إليه من أدوات الاجتهاد لاستنباط علاج المستجدات وقضايا الدعوة، وتوفير ما يهدي المسلمين إلى الحق في المعضلات، بمهارة وتحسين في الأداء. وبهذا المعنى يجمع منهج التجديد الدعوي بين ثبات الأصول وتطور الفهم في الواقع وفقهه.

وفي إطار هذا المحور يأتي دور إمام المسجد في مجتمعه، والداعية في محيط دعوته بتواصلهما مع "المدعوين". ويكون هذا التواصل خاصًا للمتغيرات البيئية والزمانية والمكانية والثقافية، التي يتأثر بها المتلقي أو المدعو، ويتم تعامل "الإمام أو الداعية" في ظل هذه المتغيرات، كلُّ بأسلوبه ووسيلته التي تتفق والمتغير، لتطبيق التجديد الدعوي بصوره المختلفة.

hiragate.com

وتستند هذه المحاور الخمسة إلى نص من روائع النبوة، يكفينا شر الالتباس في فهم مصطلح التجديد، فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" (رواه أبو داود)؛ والمراد بتجديد الدين إحياء معالمه العلمية والعملية في كل عصر، والتي أبانتها نصوص الكتاب والسنة^(٤).

وبهذا النص الرائع نرى أن تجديد الدين - بمفهومه الذي كونه تلك المحاور - هبة من الله للخوارج. وإن كان الحديث يشير إلى أن الأئمة في الأمة مخاطبون بتجديد الدين من منطلق الأصالة والمعاصرة، إلا أن المجدد من يظهر أثره. وليكن هناك جمع غفير من الأئمة والدعاة يدورون في فلك التجديد وإجراءاته ووسائله وأساليبه، ولكن هناك من يتميز ويؤثر، ويستميل القلوب، ويستحدث آليات لم يسبق بها، ويهيبه الله تعالى نوراً يرى به ما لا يراه غيره من معضلات الأمور، ومهمات المسائل.. فهذا ينعتونه بالـ"المجدد" على رأس من يعملون في واقع التجديد في الفكر الإسلامي من الأئمة في الأمة.

وإذا كان الأئمة والعلماء في الأمة معنيون بالتجديد حتى يظهر فيهم المجدد الفردي المتميز - وفق الحديث - فهذا ما يؤكد على واقع التجديد من منظور الإسلام أنه إسلامي خالص، ووجوده في الإسلام وجود ذاتي، فينتفي عنه أنه دخيل على الإسلام أو من اختراعات الغرب، والأكثر من ذلك هو نعمة من الله تعالى ينعم بها على الأمة كل مئة عام.

والأعجب من ذلك ما قاله ابن الأثير - وهو محق - في معنى الحديث: "الأولى أن يحمل الحديث على العموم، ولا يلزم منه أن يكون المبعوث - على رأس المئة - رجلاً واحداً، وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه؛ فإن لفظة "من" تقع على الواحد والجمع"، ويفهم من كلامه أن التجديد بنظرة واقعية موجود في الإسلام عبر الزمان، وكل مئة سنة من الممكن أن يظهر المجدد الفردي أو مجموعة من المجددين، وهذا ما يعني أن التجديد في الإسلام منظومة نشطة لها روادها

وأثرها كل مئة عام.

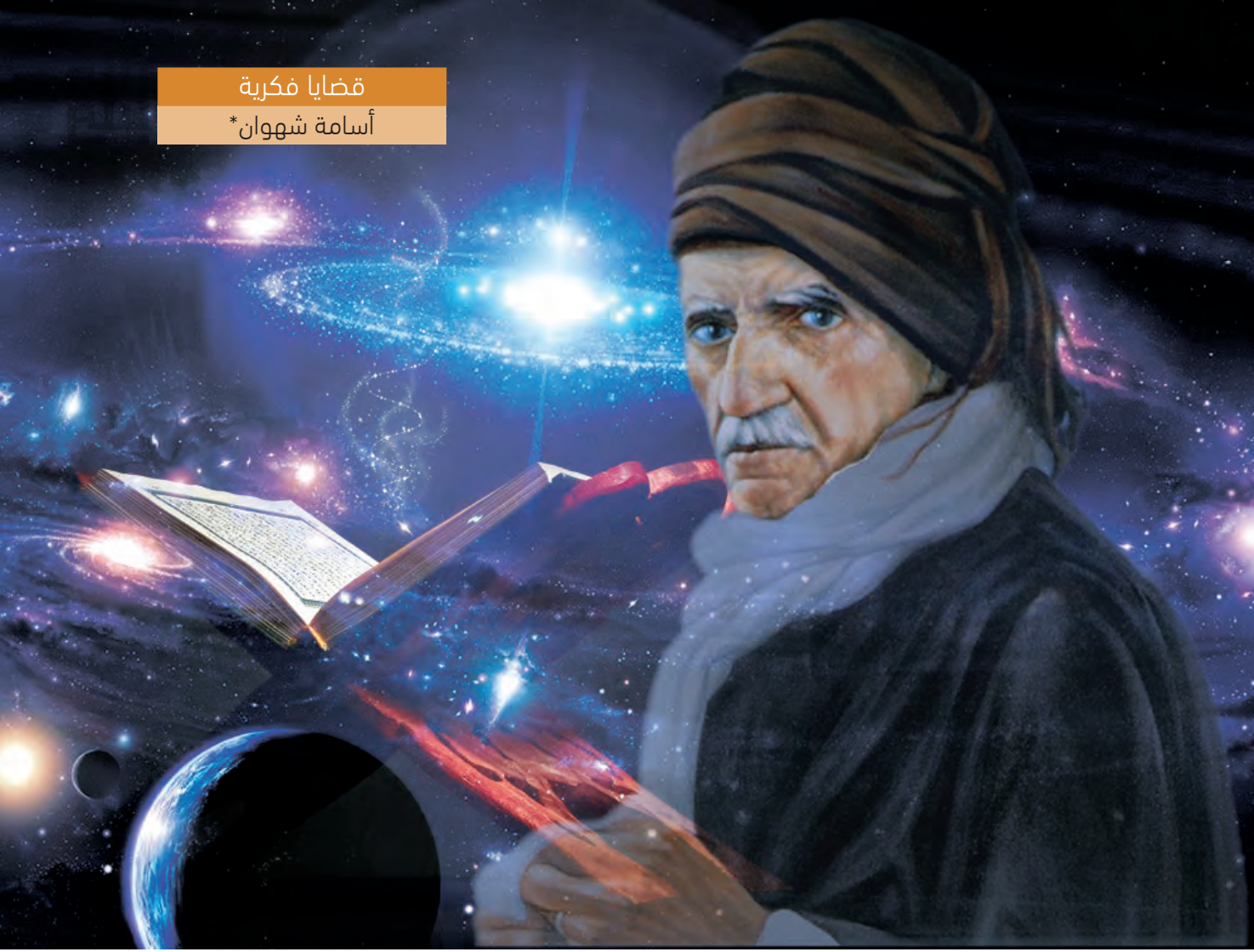
وبنظرة متأنية في الحديث، وما قاله ابن الأثير في معناه، نكتشف أن تحديد المئة عام يمثل مرحلة تليها مئة عام أخرى أي مرحلة أخرى، وهكذا مما يؤكد على أن الإسلام فيه ما يكفي للتعامل مع مستجدات العصر. ففي كل مئة عام قطعاً يحدث تطور، فيأتي من رجال الإسلام من يتعامل مع هذه المرحلة وتطوراتها ومتغيراتها، ومن هنا نعلم صدق مقولة: "إن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان". كيف لا وقد ذخرت قرون الإسلام بالمجتهدين الأفذاذ الذين كان عملهم العودة بالأمر الجديد إلى أصله. فكثير من المسائل الدينية تدخل فيها الواقع بطوارئه وظروفه العصرية، فيأتي المجدد والمجتهد بأصول ثابتة لا تتغير، وخصائص شرعية لا تتبدل، ويبدأ في تطوير الفهم وتحسين أساليب الاجتهاد وتفعيل أدوات التطبيق، فيصير الأمر جيداً جديداً انطلاقاً من الأصل الشرعي.

وبهذا قد أكون حاولت فهم المصطلح (التجديد) وفق النصوص الشرعية التي لا يمكن أن تفهم المصطلحات بعيداً عنها، وحاولت فهم المراد من الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، وفك الاشتباك الواقع في فهم هذا "المركب" الذي ترامي إلى الأسماع واختلفت فيه الأفهام. وأظنني بدأت محاولاً تاركاً المقام لغيري ممن استوى على سوقه ليضع منهج التجديد وضوابطه وطرائقه. فإلى أن يأتي هذا الهمام أدعو الله بالتوفيق والسداد. ■

^(٤) من علماء وزارة الأوقاف المصرية.

الهوامش

- (١) كيف نفهم الإسلام، لمحمد الغزالي، ط. دار الشروق، ص: ١٨٣.
 (٢) التجديد في الفكر الإسلامي، لعنان محمد أمامه، ط. دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ص: ١٦-١٨.
 (٣) تفسير ابن كثير ٤٩٧/٢، تفسير البغوي ٤٥٣/٢، تفسير السمعاني ٧٢/٣، تفسير السعدي ٤٠٦/١.
 (٤) مفهوم تجديد الدين، لبسطامي محمد سعيد، ط. دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص: ٣.



العقلية التصويرية ووسائلها عند النورسي

إن الإمام النورسي في حركته بالدعوة إلى حقائق الإيمان، يملك عدّة متينة متوازنة مؤثرة فاعلة، شاعرًا بحيوية الدعوة في أعصابه، وتوهجها في ضميره، وانطلاقها في دمائه.. تمنعه من الراحة والدعة، وتشغله بها عن نفسه، مندفعًا بصدقه وإيمانه بدعوته التي تصبغ جوارحه ونظراته وحركاته وإشارات.. فينفذ كلامه إلى القلوب محرّكًا العواطف، وباعثًا الحياة في الفطر السليمة بما يمتلك من عقلية واقعية تصويرية.

تلك العقلية التي تنطلق من الفهم الدقيق القائم على تدبر معاني القرآن الكريم، وإطالة النظر فيها، وترديدها والوقوف عندها، والتغلغل في مراميها ومقاصدها.. فإن الله ﷻ أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته لا لمجرد أن يتلوه بلا فهم ولا تدبر: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

ولقد أدرك الإمام النورسي أهمية ذلك منذ صباه وشبابه المبكر، وتأكد لديه منذ استجابته لإشارة "الإمام الرباني" الغيبية بتوحيد القبلة، وذلك لأن القرآن وتدبره يعرف المسلم بربه وخالقه، وطريق الوصول إلى رب العالمين، وما أعده الله للمستجيب لنداء القرآن من الكرامة إذا ما قدم عليه يوم القيامة.

وفي المقابل، فإن هذا التدبر القرآني يعرّفه ما يدعو إليه الشيطان وحزبه، والطريق الموصلة إليه، وما ينتظر المتبع لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب السرمدى. وبالفعل استطاع الإمام النورسي أن يركز جهده وانتباهه في مخاطبة القلب والعقل، عارضاً الحقائق الإيمانية والمعاني الربانية عرضاً عملياً محسوساً بأسلوب تصويري يبث الحياة في القلب، وينشر الحركة في العقل. ومن هذه الأساليب والوسائل التي استخدمها لتحقيق ذلك:

١- القصة والحكاية

القصة تمتاز بأنها تصوّر نواحي الحياة فتعرض الأشخاص وحركاتهم، وأخلاقهم وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم الطبيعية والزمنية، حتى لكأن السامع يراهم رأي العين، ويسمع منهم سمع الأذن، ويعاشرهم ويعيش بينهم.

كما تمتاز الحكاية بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع.

ومن هنا كانت القصة خير الوسائل التي توّسل بها الإمام النورسي لإبلاغ حقائق الإيمان إلى أعماق القلوب، مبيّناً أن سبب إيراده "التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل (رسائل النور)، هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورسالتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها والتي تدل عليها كناية. فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة".

ونعرض -على سبيل المثال- مطلع حكاية قصصية من هذه الحكايات، تاركين عرضها لكلمات الإمام النورسي: "إن رُمت إيضاح أمر الحشر وبعض شؤون الآخرة على وجه يلائم فهم عامة الناس، فاستمع معي إلى هذه الحكاية القصيرة:

ذهب اثنان معاً إلى مملكة رائعة الجمال، وإذا بهما يريان أن أهلها قد تركوا أبواب بيوتهم وحوانيتهم ومحلّاتهم مفتوحة لا يهتمون بحراستها، فالأموال

والنقود في متناول الأيدي دون أن يحميها أحد... بدأ أحدهما -بما سوّلت له نفسه- يسرق حيناً، ويغصب حيناً آخر، مرتكباً كل أنواع الظلم والسفاهة، والأهلون لا يبالون به كثيراً.

فقال له صديقه: ويحك ماذا تفعل؟ إنك ستنتال عقابك وستلقتني في بلايا ومصائب؛ فهذه الأموال أموال الدولة، وهؤلاء الأهلون قد أصبحوا جنود الدولة أو موظفيها، ويستخدمون هذه الوظائف بيزّتهم المدنية، ولذلك لم يبالوا بك كثيراً، اعلم أن النظام هنا صارم، فعيون السلطان ورقبائه وهواتفه في كل مكان. أسرع يا صاحبي بالاعتذار، وبادر إلى التوسّل. ولكن صاحبه الأبله عاند قائلاً: دعني يا صاحبي، فهذه الأموال ليست أموال الدولة، بل هي أموال مشاعة لا مالك لها، يستطيع كل واحد أن يتصرف فيها كما يشاء، فلا أرى ما يمنعني من الاستفادة منها، أو الانتفاع بهذه الأشياء الجميلة المنثورة أمامي، واعلم أنني لا أصدق بما لا تراه عيناى. وبدأ يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السّفْسُطة.. وهنا بدأت المناقشة الجادة بينهما، وأخذ الحوار يشد؛ إذ سأل المغفل: وما السلطان؟ فأنا لا أعرفه، فردّ عليه صاحبه: إنك بلا شك تعلم أنه لا قرية بلا مختار، ولا إبرة بلا صانع وبلا مالك، ولا حرف بلا كاتب.. فكيف يسوغ لك القول: إنه لا حاكم ولا سلطان لهذه المملكة الرائعة المنتظمة المنسقة؟".

٢- ضرب الأمثال

المثل قول واضح موجز حكيم، يتنصب صدقه في العقول فيألفه الناس ويجري بينهم. فضرب المثل إنما هو تشبيه حالة ما بأقرب الأمثال شبيهاً بها وأكثرها مماثلة لها، وهو تشبيه يحدث في النفس حركة التفات بارعة يلتفت بها الإنسان من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح، ويجري ذلك كله في أقل من لمح البصر. وهذه الحركة النفسية البارعة لها ما لسائر الحركات من تجديد وتنشيط.

ولذلك، فلا عجب من أن نجد المثلثات من الأمثال

لقد دأب النورسي على التأمل في آفاق الكون، وحث طلابه على أن ينظروا إلى كل ما أمامهم في الآفاق بنظرة العين الباصرة التي ترى الصفحة الخارجية الصماء، ونظرة العين الباطنة البصيرة التي تنظر إلى ما في الآفاق على أنه فعل فاعل هو الرب الرحمن الرحيم.

حراه

صغيرة، وليس له من هذه الضيافة إلا إعدادها وبسطها، إن كان يستمتع وينشرح إلى هذا القدر لدى إكرامه الآخرين في ضيافة جزئية، فكيف بالذي تنطلق له آيات الحمد والشكر، وترفع إليه أكف الثناء والرضا بالدعاء والتضرع من الجن والإنس والأحياء كافة، الذي حملهم في سفينة ربانية جبارة -تلك هي الكرة الأرضية- ويسيرها فيسيح بهم في عباب فضاء العالم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، داعيًا جميع ذوي الحياة إلى تلك الضيافة التي هي من قبيل فطور بسيط بالنسبة لما بسط في دار البقاء، التي كل جنة من جنانه كُشفرة مفروشة أمامهم، مشحونة بكل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، أعدها لعباده الذين لا يحصون، وهم في منتهى الحاجة وغاية الشوق إلى لذائذ لا تحد إشباعًا للطائف لا تحد؛ ليتناولوا من تلك الضيافة الحقيقية، وليتعموا تنعمًا حقيقيًا في زمن خالد أبدي. فقس بنفسك على هذا ما نعجز عن التعبير عنه من المعاني المقدسة للمحبة، والتعبير المنزهة لتتأجج الرحمة المتوجهة إلى الرحمن الرحيم".

٤- النظر إلى صور المعنويات

إن الإمام النورسي أبدع في النظر إلى صور المعنويات، ونقل معانيها التجريدية إلى آثارها وأوصافها المحسوسة ونتائجها وثمارها الملموسة، فها هو -رحمه الله- يجسد قيمة أداء الصلاة لوقتها قائلاً لطلابه: "لكي ندرك عظمة الصلاة وروعها في وقتها، وكونها معينًا لا ينضب، ورأس مال ثمين؛ فلنفكر في هذا المسجد العظيم الذي يُسمى العالم الإسلامي، وقيام المئات من الملايين بالوقوف في الصلاة جماعة، يدعو كل فرد من هذه الجماعة

مبثوثة في رسائل النور، ومن ذلك ما يضربه الإمام النورسي في حديثه عن الاشتراك في الأعمال الأخروية فيقول: "ولنفهم هذا بمثال: اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي، فوقع على أحدهم إحضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه، وعلى الأخير علبة الكبريت. فعندما أشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكًا لمصباح كامل، فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، إذن لأصبح منعكسًا في مرآته مصباح كامل مع ما في الغرفة، من دون تجزؤ أو نقص. وهكذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضم المساعي بسر الاتحاد، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها بتمامه في دفتر أعمال كل منهم".

٣- مقابلة الحقائق المغيبة بأحوال ديانا العملية

الإمام النورسي حين يتكلم عن الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر، والحشر والحساب إلى غير ذلك من الحقائق التي لا ريب فيها وفي وجودها، يعرضها عرضًا يلمس بها القلوب لمسًا بأن يختار مما يقابلها من أحوال ديانا العملية، فيعرض الحقيقة وشبهها. وليس هذا النوع من قبيل ضرب الأمثال، وإن كان هو والأمثال والحكايات والنظر إلى صور المعنويات يمثلون وسائل رئيسة في عرض الحقائق الإيمانية في رسائل النور، إلا أن ضرب الأمثال خاص بتشبيه حال المعنويات بحال تناسبها من الواقع.. أما هنا فمقارنة بين أمور واقعة فعلاً في عالم لا نراه، وبين أمور شبهها بعض الشبه تقع في عالمنا المنظور، مثل قول الإمام النورسي: "شخص سخي كريم ذو شفقة ورأفة، أعد ضيافة جميلة للفقراء المحتاجين، فبسط ضيافته الضخمة على إحدى سفنه الجوالة، واطلع عليهم وهم يتنعمون بإنعامه تنعمًا بامتنان، تُرى كم يكون ذلك الشخص الكريم مسرورًا فرحًا، وكم يبتهج بتنعم هؤلاء الفقراء وتلذذ الجيعاء منهم، وثنائهم جميعًا عليه، يمكنك أن تقيسه بنفسك".

وهكذا فالإنسان الذي لا يملك ملكًا حقيقيًا لضيافة

لعموم المصلين، يقرأ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويكون شفيحاً للجماعة بأكملها ويدعو لهم أيضاً. إن الذي لا يشارك في تلك اللحظات، لا يتسلم حصته، وكما أن العسكري الذي لا يحمل صحنه ويذهب لاستلام حصته من الأكل، لا يحصل على نصيبه، فإنه لن يستطيع أخذ نصيبه من الطعام الذي تم إعداده في المطبخ المعنوي للجماعة الكبرى. بينما الذي يصلي في وقته ويشارك جيش الجماعة ويردد "أمين" لدعائهم، يستطيع بلوغ هذا المرام".

٥- النظر في الآفاق

لقد دأب الإمام النورسي على التأمل في آفاق الكون، وحث طلابه على أن ينظروا إلى كل ما أمامهم في الآفاق نظرتين في نظرة واحدة طويلة؛ نظرة العين الباصرة التي ترى الصفحة الخارجية السماء، ونظرة العين الباطنة البصيرة التي تنظر إلى ما في الآفاق على أنه فعل فاعل هو الرب الرحمن الرحيم.. فترى العين مع القلب والعقل الوجود الممتد كتاب الله المنشور المنظور، وهذه الكائنات العجيبة التي تملؤه هي سطور حيّة نقرأ فيها قدرته ﷻ وعلمه وحكمته وكرمه ووده وبره. كما بين الإمام النورسي أنه من جميل تقدير الله، أنه جعل مطالعة هذا الكتاب ميسورة للعالم والجاهل، والقارئ والأمي.. فما على الإنسان إلا أن ينظر ويسمع ويحس، ثم يفكر فيما وقع عليه حسه في إطار نسبته إلى الخالق ﷻ. فإن هذا التفكير يشهد في معالم الصنع ودلالاته، الكثير من العبر والآثار الدالة على معاني صفاته جل شأنه، فيشير في القلب إحساسات رقيقة، وينفتح له الملكوت الفياض بالروحانيات، فيهتز القلب وتخشع النفس، وتفيض العين ويستنير الطبع.. ويصبح الإنسان قبضة من نور الله ﷻ، موصولاً به بمشاعر ساجدة خاشعة، راجية محبة، مفعمة بأسباب الفهم والمعرفة.

هذه المعاني العظيمة - وغيرها - ماثورة في رسائل النور، وبخاصة رسالة "التفكير الإيماني الرفيع، والمعرفة التوحيدية السامية"، التي يقول -رحمه الله- في مقدمتها: "لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً، ضمن

انتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجز البيان، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١) وأمثالها من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على التفكير حثاً عظيماً".

ولم يتوقف الإمام النورسي عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى المسلك العملي مع طلابه؛ "فعندما يتجول في المروج الممتدة، يطالع ويتصفح كتاب الكائنات الكبير حوله، ويقول لطلابه أثناء التجوال: اقرؤوا أتمم كذلك أيها الشباب من هذا الكتاب الأعظم للكون والخلق، فهذه حيوانات صدوقة مخلصة، إن جريهم وعواءهم دليل على صدقهم. ما شاء الله.. انظروا إلى كمال وجمال هذا الخلق، إنه لا يقل عنكم في جمال الصنع".

٦- الالتفات إلى الآثار

من الأساليب والوسائل التصويرية العقلية التي مارسها الإمام النورسي، الوقوف على الآثار ومواضع الذكريات وقوف الحي المتنبه ذي الوجدان المتحرك اليقظ؛ فيناجي الآثار، ويستخبرها ما فعل الليل والنهار، ويكلف خياله أن ينصب سرادق الحياة الماضية وأن يقيم معالمها، ومن خلال استنطاقه للآثار يخاطب طلابه بأن أصحابها مضوا إلى غايتهم وهم أشد ما يكونون تعلقاً بالحياة، وأنهم كما سافروا لا محالة مسافرون، فيحثهم على التزود بتقوى الله، ويحذرهم من ضدها. ففي يوم قال لطلابه وهم بين القبور: "إن شواهد هذه القبور الحجرية توجه لنا التحذير مثل المعلمين، يعطون لنا دروساً وعبراً، وكأن لسان حالهم يقول لنا: ستأتون أتمم أيضاً". ■

(٤) باحث في المجال الحضاري والتربوي / مصر.

المراجع

- (١) الكلمات (من كليات رسائل النور)، لبديع الزمان سعيد النورسي، دار النيل للطباعة والنشر، سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، القاهرة.
- (٢) اللغات (من كليات رسائل النور)، لبديع الزمان سعيد النورسي، دار النيل للطباعة والنشر، سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، القاهرة.
- (٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، مكتبة دار التراث، ط ٨ (١٩٨٧م)، القاهرة.
- (٤) الشهود الأواخر، لنجم الدين شاهين، مجلد: ٣.

ما يوضع مقابلاً لصورة الحاكم المستبد الذي يحكم رقاب الناس بالنار والحديد. هذا الكلام وإن كان حقاً في أحد جوانبه التي يضيئها الخطاب، إلا أنه يخفي ولا يوضح كيف للقائد أن يخدم رعيته.

وليس هذا فحسب وجه القصور في نظرة المجتمعات العربية للقائد، بل إن فكرة القيادة فيها مرتبطة ارتباطاً وجودياً بالحكم، فكأنما وظيفة القائد في المخيال العربي تقتصر على الحكم ودوره هذا ثابت، وفي الوقت نفسه هو أصل للاستقرار. كأنما العرب بهذا يعتقدون ضمراً بأن الحاكم هو أصل الاستقرار، فإن أحسن حَسُنَتْ أحوالهم

معلوم أن القائد في المجتمعات الإنسانية دوره قيادة المجموعة أو المجتمع أو أي شكل من أشكال التجمعات الإنسانية إلى ما فيه صلاح في حراكها، وبالتالي هو -في الحقيقة- يقود جهود أفراد المجموعة. إلا أن المجتمعات العربية -على وجه العموم- تعتقد بأن وظيفة القائد هي إنشاء الشيء من العدم برعاية "الخطاب الديمقراطي"، أو بمعنى أصح "الخطاب الديماغوجي" الذي يقول بأن وظيفة القائد هي "خدمة المجموعة". وهو خطاب غالباً

هل مشكلتنا مشكلة قيادة؟

الاجتماعية والحضارية عمومًا، وإلا فإنها ستسوء. فلا عجب إذن أن يتحول أمر التغيير من تدافع أفكار إلى صراع سياسي، فهذه الشخصية هي أصل الصراع السياسي، ومن بعده القتال الدموي. ومما يزيد الطين بلة، أن ابن خلدون قد أصل لهذه الفكرة بادعائه أن التدافع بصيغته الداروينية، هي أصل كل صلاح في الأرض. فالمخيال العربي إذن، يرى بأن تغير أحوال الأمة التاريخية مرتبط بتغيير القائد، وبهذا يكون القائد قد أخذ دورًا أكبر من حجمه الطبيعي، فالقائد لم يعد مسيرًا للجهود الاجتماعية في تغيير وجه التاريخ فحسب، بل صار هو التاريخ عينه. أو على الأقل أصبحت الحركة الاجتماعية شرطها الأساسي والأوحد هو حركة القائد، وبذلك أخذ القائد دورًا جوهريًا أو أقله مركزيًا، وهو أكثر مما يتحمله هذا الدور. وهذه المركزية هي في حقيقتها وثنية، فهي تأله دور القيادة! إذ إن الإله في الأديان هو المخلص الوحيد من مآزق الواقع، ناهيك عن تخيل دور القيادة في أنه يُوجد الأشياء من العدم. والسؤال الواجب طرحه الآن: ماذا لو لم يوجد القائد المخلص المنقذ؟

حديث التجديد

إن قيل بأن الله عهد على نفسه أن يبعث في الأمة مجددًا للدين على رأس كل مئة سنة، فكيف بما هو دون ذلك من أحوال المجتمع؟ قلنا إنه بغض النظر عن كون أن عهد الله بأن يبعث على رأس كل مئة سنة مجددًا للدين لا يلزم أن يبعث مجددًا فيما هو دون ذلك، فإن هذا الإلزام بالأصل قاصر من جهتين؛ أما الأولى أن مفهوم القائد بهذا الشكل يصادم مفهوم القيادة بالجملة، والثانية أن غاية خلق الله لنا هو أن نعبد لا أن نكتفي بأن يبعث لنا مجددًا يخلصنا من مآزق الحاضر.. فالعبادة ينتج عنها تزكية للنفس وهذه هي غاية التدين، وبهذا لم يكن هنالك حاجة للمجدد بمفهومه الشعبي؛ لأن العبادة هي الأصل، ولا يقتضي على هذا ألا تحتمل معها بعض الفروع كبعث المجدد، فكيف هو بما دون ذلك؟

إن الفهم الصحيح لحديث المجددين للدين على رأس كل مئة سنة، لا يصح إلا على ضوء مفهوم النبوة؛ فالأنبياء

والرسل لم يكونوا مكلفين بتغيير ما في أنفس الناس -لأن هذا من قدرة الله فقط- بل كانوا مكلفين بالتبليغ. فوظيفة المجددين -بناء على ما سبق- إزالة الشوائب التي لحقت بالرسالة المحمدية بمرور التاريخ، كأنما مهمتهم تعبيد الطريق نظريًا وفق ما هداهم الله إليه، فإذا كان الأمر كذلك مع أعظم مقاصد الشريعة (تغيير ما بالنفس)، فكيف بما هو دون ذلك؟

إذن، تبين بأن استدلالهم بحديث المجددين للدين خاطئ، فالتجديد هنا حركة علمية يبلغها الناس، والناس أحرار في اتباع ما بلّغوه من عدمه، وعلى ضوء هذا المفهوم الجديد، نعيد للقيادة مفهومها الطبيعي الذي هو إرشاد الناس لما فيه صلاحهم على حسب مقتضيات التاريخ وأحكام ما وراء التاريخ. فالقيادة إذن، هي إرشاد الناس بالحكمة، أي بالعلم (بمفهومه الواسع)، وبالتالي هي حركة علمية أكثر من كونها ممارسة سياسية، هي نتاج تفاعل كل الناس بمستوياتهم المختلفة، وليس تفاعل القادة فيما بينهم فحسب.

التغيير بين الإرادة والانقياد

من هنا أمكننا أن نرى كيف أن دور القيادة -رغم أهميته- لا يملك دورًا مركزيًا، فضلاً عن عدم امتلاكه للدور الجوهري، فإذا كانت الحركة العلمية محلها كل المجتمع؛ فإن مصيرها أن تظهر بها فئة نخوية تسمى "نخبة العلماء"، ثم يعقبها فئة عملية تسمى فئة "القادة"، وهي التي تقود حركة العلم في التاريخ.

إذن تشكّل القادة في المسيرة السوية للمجتمعات الإنسانية تكون هي الأخيرة، ولا يخفى على أحد بأن هذا الترتاب ليس ترتابًا زمنيًا، بل هو ترتاب تطوري؛ بمعنى أن تطور فئة العلماء يجب أن يسبقه تطور على مستوى عامة الناس، ومن ثم يليه حتمًا تطور على مستوى فئة القادة. فالقائد العظيم -إذن- هو في الحقيقة ابن مجتمعه، فعلى الأقل شرط إمساك الشخصية القيادية العظيمة بصلاحها لدفة القيادة، هو أن يصدق الناس في سعيهم للإصلاح ليكون القائد مرشدًا لهم في ذلك.. فحتى المجدد للدين، لا يظهر حتى يبحث عنه الناس بعد أن تسوء أحوالهم العقدية والحضارية، فإذا بحثوا

القيادة هي إرشاد الناس بالحكمة، أي بالعلم بمفهومه الواسع، وبالتالي هي حركة علمية أكثر من كونها ممارسة سياسية، وهي نتاج تفاعل كل الناس بمستوياتهم المختلفة، وليس تفاعل القادة فيما بينهم فحسب.

حراه

أفهام الناس، وهنا يفتقد شرط المساواة، بينما فُتِحَ الله يتساوى فيه الجميع من جهة أنه قد يناله كل من أغشته لحظة الصدق، فيكون بذلك متاحًا للجميع بنفس النسبة الاحتمالية في أي لحظة كانت، ولا يستلزم الوقت الذي يستلزمه تحصيل العلم الصوري على أنه يذكره، فإما أن يصدقه أو يكذبه.

ثم إن العلم الصوري قد يناله من يريد بجهد جهيد، ولكن ليس كل من ناله اهتدى به، واستنادًا على ما يمكن ملاحظته في تاريخ البشرية، بأن كل تطور فلسفي أو عقلي عند الناس في رؤيتهم لوجودهم (سواء بالارتقاء أو التدهور)، يرافقه تطور لرؤيتهم لماهية الحكم وكيفيته.. وهو ما يمكن ملاحظته بجلاء أكبر في القرون الأخيرة (قرون عصر الحضارة الغربية) حيث انتقل الناس من الحكم على المحمول في القضايا المنطقية والذي يترجم في مجال السياسة بـ"الحاكم"، إلى الحكم على الحامل والذي يترجم في مجال السياسة بـ"كرسي الحكم"، بمعنى أن الحضارة الغربية انتقلت من الملكية (حكم الفرد) إلى الديمقراطية (حكم المؤسسات)، أي انتقلت من المضمون العيني إلى الحامل الصوري.

ما يهمنا هو أن النسق الصوري الغربي يجسد مبدأ التدافع والتصادم الأعمى، أي المقرغ من أي قيمة. فإن قيل بأنها تحمل قيم الحرية، قلنا بأن هذه القيم المدعاة تخدم مبدأ التدافع الأعمى أو التصادم، وبالتالي هي في حقيقتها تنتهي إلى اللاقيمة.

وإنسان الغرب اليوم لما أغرق في السببية الصماء، فقد ذاته بفقدانه لقيمه المتجاوزة للسببية، فترك بذلك فراغًا ملاء النظام السياسي المحيط، فعدنا إلى الحكم المطلق، ولكن ليس في صورة حاكم شخص، وإنما في صورة مؤسساتية وهذا ما يشتهه واقع الحال اليوم.

عنه بسعيهم الصادق في البحث عن الحقيقة، بعثه الله بقدرته التي لا تحتويها "كيف"، عندها تبدأ حركة التاريخ للمجتمع. وكذلك الحال مع المجتمعات الإنسانية، ففي اللحظة الحرجة من تاريخها - حينما تطلب الهداية بصدق - يبعث الله من يرشدها.

وهذا الاطمئنان لا يكون - بطبيعة الحال - نتيجة عمل عقلي محض.. التاريخ الإسلامي يضرب مثلاً للاضطراب الذي أحدثته الجدالات الفلسفية والفقهية والكلامية في أوساط العوام رغم حجم ازدهار العلوم الذي كانت تتميز به الحضارة الإسلامية، ذلك لأنها كانت مبنية بناءً عقليًا محضًا، وإلى اليوم لا يزال ذلك القلق حادًا ولو بدرجات أقل، خاصة مع دخول العلمانية إلى الخط، إنما الاطمئنان يقع بالاطلاع على الأفق.. وهذا الأمر لا يتأتى إلا لمن صدق، فيكون ذلك باطمئنان قلب طالب الهداية لما يأتي به المجدد، وكذلك الحال مع المجتمعات الإنسانية لما تقف على اللحظات الحرجة. وبالتالي لا يتأكد صدق إرادة الجماهير التغييرية حتى يولوا العلم أهميته اللازمة، ولن يكونوا كذلك حتى يشتركوا في الحركة العلمية أي في بناء العلم. وبهذا، يتشكل جهاز مراقبة ومشاركة أهلي، والذي هو أقدر على التأثير من جهاز المراقبة المدني، فيكون مجمل الحديث - السابق سرده - وجه من أوجه المساواة المجتمعية المانعة لأي نزعة استبدادية قابلة للظهور بأي شكل من الأشكال، تكون أرقى من مساواة المدنية.

وعليه، فإن انقياد الصادق في إرادة التغيير أو الانقياد التزكوي (نسبة لتزكية النفس بالصدق)، هو في كينونته عين إرادته؛ لأن إرادة المرید للتغيير تكون هي عين إرادة المظمأن له في تدبيره - متى ما صدق الطرفان طبعًا - استنادًا على أمر هو أعلى من الدستور دون أن يلغيه وهو فتح من الله ﷻ.

النظام السياسي المحيط

فإذا اعترض معترض على قولنا هذا محتجًا بقدرته الدستور المتفق عليه بين الناس قادر على تسيير أمور الناس من دون الحاجة لأي مظهر ديني، قلنا إن الاحتكام إلى محض الدستور قاصر من جهة تفاوت

يتضح بما لا يدع مجالاً للشك في اليقين، بأن مطالب المساواة، الحرية، الحق.. لا تتجسد إلا بتعلق الإنسان بالقيم المتجاوزة. وبالجملة، لا تحل إشكالية "الإرادة والانقياد" إلا بتحكيم الفرد - بما أن الإشكالية أصلاً إشكالية فردية - للقيم المتجاوزة، والتي تضيف على العلم الصوري تأييداً من التاريخ وما وراء التاريخ، الذي يفضي إلى فتح من الله على سبيل الهداية، والذي يمكن ترجمته بلغة إسلامية بـ "ما الحكم إلا لله".

وعليه، يتبين بأن المشكلة اليوم ليست مقتصرة على مجرد أعطاب في النظم السياسية، بل المشكلة في إبعاد القيم المتجاوزة عن حياة الإنسان، التي لا تُبعد الإنسان عن المشاركة في التدبير القيادي فحسب، بل إنها تكون مدعاة لاستلاب ذاته، مما يخلف وراءه فراغاً تحاول ملأه النظم السياسية المحيطة، وبالتالي فقد إمكانية القيام بالنهضة الحضارية، لأن رصيد الحضارة الأول هو الإنسان. وربما يكفي هنا أن نقول بأن أي حضارة فقدت الإنسان لجأت إلى الطغيان.

وقد سبق وقررنا بأن العلم النافع لا يحصل ببعض المجاهدة العقلية الفردية المجردة، بل تقوم على "الفتح الإلهي"، وقد تقرر عندنا بأنه لا يناله إلا صادق، فيكون بذلك التأخلق هو الشرط الأساسي للفتح العلمي، فإن تحصل الفتح العلمي بهذه الصيغة، تحصل معه العمل النافع لزوماً، لأن العمل لا ينفك عن العلم في الفتح الإلهي، وبهذا يتحقق استرداد الإنسان.

وإن قيل بأن حركة الإصلاح هنا تستلزم قيادة، أي بمعنى أشمل تستلزم عملاً منظماً، قلنا: لأن كان هذا لازماً فعلاً، فإنه لا يحتمل مرتبة الجوهرية أو المركزية، وإنما العمل المنظم أو المؤسس هو مجرد وسيلة للمساعدة. فقد رأينا - فيما سلف - أن المجدد للدين لا يظهر حتى يطلبه الناس بصدق، ويدعو فيهم بصدق، ويصدقوه في تلقيهم، ثم أمام هذه العلاقة التخاطبية، نجد شمولية الحركة العلمية للدعوى، وكذلك الأمر مع الحركة الإصلاحية، واستناداً على كل هذا، يتبين بلا مركزية ولا جوهرية القيادة.

لو أننا نظرنا إلى المشكلة الجوهرية التي وضعناها مؤخرًا على المستوى التاريخاني، لتفرعت لنا مشكلة ثانية أولى من مشكلة القيادة، بل إن مشكلة القيادة متضمنة فيها (أي فرع منها وليس العكس) ألا وهي مشكلة الثقافة والحضارة في نفس الوقت، استناداً على كون أن العلم والعمل عندنا واحد، والثقافة موضع العلم، والحضارة موضع العمل على مستوى التاريخ، لأننا سبق وقلنا بأن رصيد الحضارة الأول هو الإنسان، وبالتأكيد نقصد "الإنسان المتأخلق"، لأنه وحده كامل الإنسانية، وبالتالي وحده الذي يحمل القابلية للتحضر.

فمن المعلوم أن الحضارة لا تقوم إلا باجتماع الناس، والناس لا تجتمع إلا على الثقة، ولا تقوم الثقة إلا بتأخلق الناس، لأن الأخلاق هي الضامن الوحيد لعدم خيانة هذه الثقة، ثم تأتي القوانين لتحمي هذا المكتسب الأخلاقي والحضاري، ومن هنا تشكل سلطة القيادة بما فيها سلطة الحكم.

فإن قيل بأن القوانين يمكن أن تنشئ أخلاقاً، قلنا بأن القوانين بحد ذاتها تحتاج إلى حماية، فمن المعلوم أن لكل قانون إمكانية لكسره مهما تطور وتعقد، وهكذا لا ينتهي السجال بين القانون وكسر القانون، ولا يبقى إلا الأخلاق لضمان التزام الناس بها. ثم إن القانون في حقيقته هو إلزام يضمن عدم اختراق قيمة معينة. وعلى هذا يتأكد أسبقية الخلق على القانون إن لم نقل بجوهرية الخلق في القانون، هذا بغض النظر عن الثقافة التي لا ينكر طابعها الجمعي من جهة، والفردية من جهة أخرى إلا قاصر نظر.

وعليه، فإن القيادة لا تتحقق إلا باجتماع الناس، واجتماع الناس لا يتحقق إلا بالثقة، والثقة لا تقوم إلا بالأخلاق، ليتأكد أولوية الأخلاق على القيادة حتى في إطار العملية الإصلاحية.. فسواد القيمة الأخلاقية فقط تتحقق لنا قوتنا السياسية المنشودة التي لا نجدها اليوم، بل نجد بدلاً منها صراعات دموية، ومشاهد سوداوية نراها في البلاد الإسلامية اليوم أكثر من أي وقت مضى، وهي من مخلفات الصراع الأيديولوجي. ■

(٤) باحث في الفكر والفلسفة / الجزائر.

البحار كنوز وأسرار

إيف كوستو " أنه بمقدرة الإنسان العيش والعمل تحت الماء، كما هو الحال في عيشه وعمله فوقه تمامًا.

الإنسان القديم واستثمار البحار

إن حلم استثمار البحار داعب الإنسان من قديم الزمان، ولذلك طرق سبلاً كثيرة لتحقيقه، ولعل أقدمها كان في الاستفادة من أسماكهِ وثرواته الحيوانية عامة، والاعتماد عليها كغذاء ضروري تقوم عليها مقومات حياته، لسد حاجاته من نقص الطعام والغذاء.

ومن عجائب قدرة الخالق ﷻ أن هناك تناقضاً شديداً بين سعة مساحة المحيط المائي (٧٠٪ من مساحة الكوكب) وقلة النسب التي يقدمها من غذاء الإنسان التي لا تزيد على واحد بالمئة (١٪). ومما يزيد الأمر عجباً أن الأسماك التي تُستخرج من أعماق البحار، ذات

إن البحار مليئة بالأسرار العلمية والثروات والكنوز الطبيعية التي وقف الإنسان طويلاً عاجزاً عن النهل منها، ثم راحت مكانه مع التطور العاصف للعلم والتقنية تتفتح أمام البشر. فانطلق الإنسان يبحث وينقب عما في البحار من أسرار، وابتكر لذلك الآلات والوسائل والمعدات واستجلى الأمر. وكان حصاده وجهده كماً هائلاً من المعلومات تتزايد يوماً بعد يوم، وتشير إلى أن البحار فيها خيرات كثيرة للإنسان، وأنها مليئة بالكنوز التي تستحق السعي وراءها. وتقدمت علوم البحار، وأصبح ارتياد أعماق البحار والمحيطات لا يقل أهمية عن ارتياد أجواء الفضاء واستجلاء أسرار الكون والنجوم، وخصوصاً بعد أن أثبت العالم الفرنسي "جاك





إن البحار تشكل رئة اليابسة، فهي تنتج نصف كمية الأكسجين الموجود على الأرض؛ حيث تزخر البحار بالأعشاب الخضراء والكائنات الدقيقة التي تحتوي على مادة الكلوروفيل، وبالتالي تستخدم طاقة الشمس في صنع مركبات غذائية عضوية، مع تحويل غاز ثاني أكسيد الكربون السام إلى أكسجين تستخدمه الكائنات الحية في التنفس.

تصاعدًا مستمرًا في كمية النفط المستخرجة من البحار، وكميات كبيرة من القصدير والذهب، وغيرهما من المعادن الثمينة.

وتؤكد الكشوف العلمية على أنه توجد في قاعات وعرض المحيطات على عمق ٢٠٠ - ٣٠٠ م، مناجم هائلة من خامات الحديد والمنجنيز الغنية بالنيكل والكوبالت والنحاس. ولا ننسى أن نشير أيضًا إلى أنه يُستخرج من البحار الإسفنج الذي يستخدم في صناعة الكثير من الأشياء والأدوات، والوسائد والفرش الوثير.. ويستخرج منه أيضًا اللآلئ التي تُصنع منها الحلبي وأدوات الزينة التي تعجب الناظرين.

أهم سبل النقل العالمي

لا تتوقف أهمية البحار في حياة الإنسان عند حدود كونها مزرعة للأحياء المائية، أو مصدرًا للثروات المختلفة؛ فهي واحدة من أهم سبل النقل، ففوق مياهه سارت السفن تمخر عبابه بالشرع ثم بالبخار، وأخيرًا بالطاقة الذرية. ولو أخذنا فكرة عن أبعاد حركة النقل التي تقوم بها البشرية في المحيط العالمي، نذكر أن قيمتها تُضاهي ضعف قيمة ما يدّرّه المحيط من غذاء، وزهاء أربعة أضعاف قيمة الثروات الطبيعية المستخرجة. والتطور المعاصر يبين أن هذا الحجم في تزايد مستمر، وبالذات في البحار التي تحيط بالعالم العربي.

في مجال الطب والعلوم

في الكائنات البحرية فوائد جمة لا تقتصر فقط عند حدود الأغراض المادية، بل عرفت طريقها الآن إلى عالم الطب وفي مجال الجراحة؛ حيث تستخدم الشعاب المرجانية في ترقيع العظام، والإفادة من صلابتها تلك الشعاب

قيمة غذائية مرتفعة جدًا؛ إذ تحتوي على المركبات الأساسية التي يحتاج إليها جسم الإنسان، مما يجعلها علاجًا ليس فقط لمشكلة نقص الغذاء وسوء التغذية الناشئة عن نقص البروتين الحيواني، بل ولأمراض النقص في الأملاح المعدنية وبعض أنواع الفيتامينات.

عالم الكنوز والأسرار

تؤكد الأبحاث العلمية أن البحار تنطوي على احتياطات هائلة من الطاقة الحرارية والميكانيكية التي يتبادلها جزئيًا مع الجو، ولذا تلعب العمليات التي تجري فوق المحيط وفي الجو فوق سطحه، الدور الرئيس في حالة الطقس التي تسود اليابسة، بل وفي نطاق انتشار الحياة عليها.. ذلك وأن البحار تشكل رئة اليابسة، فهي تنتج نصف كمية الأكسجين الموجود على الأرض؛ حيث تزخر البحار بالأعشاب الخضراء والكائنات الدقيقة التي تحتوي على مادة الكلوروفيل، وبالتالي تستطيع القيام بعملية التمثيل الضوئي، أي استخدام طاقة الشمس في صنع مركبات غذائية عضوية، مع تحويل غاز ثاني أكسيد الكربون السام إلى أكسجين تستخدمه الكائنات الحية في التنفس.

والبحار مليئة بالثروات؛ فمياهها منجم للأملاح والمعادن المختلفة، ومصدر أساسي للحصول على المواد الأولية، والأملاح المعدنية المفيدة والغنية بكل العناصر الكيميائية بما في ذلك اليورانيوم والذهب والبروم والماغنسيوم واليود.. ويشهد عالم اليوم

لا تتوقف أهمية البحار في حياة الإنسان عند حدود كونها مزرعة للأحياء المائية أو مصدرًا للثروات المختلفة؛ فهي واحدة من أهم سبل النقل أيضًا، فوق مياهها سارت السفن تمخر عبابه بالشرع ثم بالبخار، وأخيرًا بالطاقة الذرية.





البحار هي صمام الأمان ضد تلوث البيئة، فهي الرئة بالنسبة للأرض، حيث تنقي الجو من الغازات الفاسدة التي تتصاعد من على سطح اليابسة، ويجب علينا ألا ندمر هذه الرئة بهذا الكم الهائل من الملوثات الصناعية التي ينتجها الإنسان على الأرض.



في الكائنات البحرية فوائده لا تقتصر فقط على الأغراض المادية، بل عرفت طريقها الآن إلى عالم الطب؛ حيث تستخدم الشعاب المرجانية في ترقيع العظام، والإفادة من صلابة تلك الشعاب التي لا يرفضها الجسم ولا تقل عن صلابة العظم.

الطحالب والأعشاب البحرية المفيدة وغير السامة في مجال تحسين الإنتاج الزراعي، وغيره من المجالات الصناعية المختلفة.

صمام الأمان

البحار والمحيطات هي صمام الأمان ضد تلوث البيئة، فهما يعملان عمل الرئة بالنسبة للأرض، حيث تنقي الجو من الغازات الفاسدة التي تتصاعد من على سطح اليابسة. ويجب علينا ألا ندمر هذه الرئة بهذا الكم الهائل من الملوثات الصناعية التي ينتجها الإنسان على الأرض.. فبمرور الوقت قد يختنق الإنسان -وهو في قمة تقدمه الصناعي- إذا غفل عن أسرار هذا التوازن الدقيق في الوجود حوله، ذلك أن البحار والأنهار تحولت للأسف الشديد إلى صندوق قمامة تلقي فيه البشرية مباشرة كميات ضخمة من النفايات الصناعية والمعيشية، حتى إن مياه البحار أصبحت ملوثة بالزئبق والرصاص والمبيدات ومشتقات النفط، الأمر الذي يوقع أضرارًا بالغة بالأحياء.

وإن استمر ذلك إضافة إلى كثافة حركة النقل البحري وما ينبع عنها من أضرار يمكن أن تؤدي إلى تغيرات لا رجعة فيها؛ فستتحول المحيطات والبحار والأنهار إلى جث هامدة تخل بالتوازن المناخي الذي يسود اليابسة، ويزيد من مشاكل الإنسان على وجه الأرض. ■

التي لا يرفضها الجسم ولا تقل عن صلابة العظم. والبحار غنية بمواد كيميائية مختلفة ذات قيمة علاجية كبيرة تساعد على الشفاء من بعض الأمراض المستعصية مثل السرطان والأورام وعلاج الجروح.. فضلاً عن مركبات عضوية دوائية وعضوية كيميائية، وذلك بقصد الاستعمال والإفادة منها في الأبحاث العلمية.

وتؤكد الأبحاث الطبية أن هناك بعض الأسماك البحرية التي يكثر تواجدها في منطقة الخليج العربي، من أهمها سمكة "السلور"، التي تقوم بإفرازات لها مزايا فريدة تساعد على سرعة التئام الجروح، وهذه خاصية مهمة قد تعتمد عليها حياة الكثيرين ممن تجري لهم عمليات جراحية وخاصة مرضى السكر.

وإذا تركنا مجال الطب إلى مجال العلوم، نجد أن البحار تتميز بالطحالب والأعشاب البحرية التي تعد من أسرار هذا العالم العجيب، بجانب استخدامها كغذاء في بعض المناطق الساحلية في العالم، كما تعتبر مصدر غذاء للكثير من الحيوانات المائية والبرية.. وتستخدم كأعلاف للماشية والدواجن، كما تدخل أيضاً في بعض الصناعات مثل صناعة الأيس كريم، ومعجون الأسنان، ومنظفات البشرة، ومزيلات الرائحة، وأصبغ الأظافر، وفي الكثير من الصناعات الغذائية.. ويستخرج منها مواد كيميائية تدخل في تركيب الأدوية وأدوات التجميل، ومنظمات النمو الطبيعية مثل مشابهاة السيتوكينين والبيتاينين. كما يطمح العلم في الاستفادة من أنواع

(*) كاتب وباحث / مصر.

الأزمة الاقتصادية وطرق إدارتها يوسف عليه السلام نموذجًا

جانين هما محورا قصة يوسف عليه السلام، وتدور حولهما تفاصيل القصة كلها وهما:

١- الجانب الاقتصادي

ويتمثل في أول اختبار اقتصادي يُسنده ملك مصر إلى النبي يوسف عليه السلام -بناءً على طلبه- وهو اختبار قاسٍ وابتلاء شديد، لأن الأمر يتعلق بقيادة منصب في ظل أزمة قادمة لا محالة، تفرض عليه توفير المؤونة من طعام وشراب لشعب مقبل على سبع سنين عجاف، "إنه عبء يتهرب منه أحكم الرجال وأشدّهم صبرًا وأقواهم احتمالاً، وقد تقدم عليه السلام في مجال ينعدم فيه من يتقدم، وصدّر نفسه لمواجهة مرحلة لا يوجد سواه ممن

إن الحديث عن المشروع الإصلاحي لنبي الله يوسف عليه السلام -أو كما شاع تسميته بـ"المشروع اليوسفي"- الذي أنقذ مجتمعات من الهلاك في عز الأزمة الاقتصادية، لا يمكن أن نفهمه إلا في إطار الحديث عن الجوانب التي شملها هذا الإصلاح، بغية الوقوف عند أهم المحطات التي مر بها بدءًا من الفكرة فالتخطيط ثم التنفيذ. وهي مجالات كثيرة، منها المجال الخُلقي، والمجال السياسي، والمجال الفني، ويصعب الإلمام بها في بضع صفحات كهذه؛ لأنه تقصير وإجحاف في حق نبي اختاره الله ليكون مصلح زمانه، ولذا سنعرض



إن مشروع يوسف عليه السلام مشروع إصلاح لم يتوقف عند الجانب الاقتصادي فحسب، بل جاء لإصلاح النفوس أولاً من برائين الجاهلية، ثم انتقل لإصلاح مجالات الحياة الأخرى من اقتصاد وسياسة.. إنه مشروع متكامل الأبعاد.

حراه

لتوليد المزيد من الفائض الذي سيساعد بدوره على إعادة الإنتاج وتحقيق الرخاء، وفي هذا يقول عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ٤٩).

و- أهمية العنصر البشري، والمتمثلة في اختيار مساعدين أمناء له، وعلى رأسهم أخوه الصغير الذي كان عوناً له ويداً آمنة تشد من أزره، الأمر الذي انعكس إيجاباً على تجاوز آثار القحط والمجاعة، مما جعل مصر محط آمال شعبها ومخزن الطعام لها ولجيرانها. وبهذه السياسة الاقتصادية الرشيدة والحكمة الجيدة، أصبح سيدنا يوسف عليه السلام أول اقتصادي عرفته البشرية. بعد هذه الخطة التي نهجها يوسف عليه السلام لتدبير الأزمة الاقتصادية، يُطرح السؤال التالي: ما مدى استفادة الدول المجاورة لمصر من هذا الإصلاح؟ أم أن المشروع شمل مصر وحدها؟

إن النبي يوسف عليه السلام استطاع أن يدير الأزمة الاقتصادية ليس في مصر فحسب، بل وضع خطة تفصيلية لكيفية التعامل مع القادمين من البلاد المجاورة لمصر، وعلى رأسها منطقة "فلسطين" التي أصابها هي الأخرى القحط، مما جعل الناس يفدون أفواجا إلى مصر من أجل الكيل، خاصة بعدما سمعوا عن الرخاء الاقتصادي وعن سياسة يوسف عليه السلام، وكان إخوته من بين الوافدين، يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف: ٥٨)، فكانت معاملة يوسف عليه السلام لهؤلاء الوافدين مبنية على إجراءات دقيقة أثناء الكيل لهم، اعتمد فيها الإجراءات التالية:

• وضع نظام البطاقة التموينية؛ حيث حدد كمية الطعام التي تعطى للقادمين بقدر حمل يعبر واحد لكل

يستطيع تسيير دفة البلاد بسلام خلالها. وما رأينا ولا سمعنا بحاكم فعل مثل ما فعله يوسف عليه السلام في مصر قبل البعثة المحمدية. وبدأ بذلك أول مشروع إصلاح له، وهو مشروع لم يقتصر على تفسير الرؤيا فحسب، بل تجاوزه إلى وضع برنامج متكامل ومدروس على أرض الواقع، استطاع من خلاله أن ينجو بشعب من الهلاك إلى بر الأمان والرخاء، وفق سياسة حكيمة ومنهجية مدروسة بإحكام راعى فيها الخطوات التالية:

أ- العمل الزراعي الدائب الذي لا ينقطع: وهو المقصود في قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ (يوسف: ٤٧)، لتحقيق الأمن الغذائي في السنوات العجاف المقبلة.

ب- تخزين الثمار وحفظها من التلف: وهي سياسة اقتصادية، الهدف منها عدم استهلاك كل إنتاج العمل من ثمار وحبوب، بل يتعين تخزين ما يكفي منه لسنوات الضيق والأزمات.. ولا يعني تخزين جزء من الإنتاج إبعاده عن الاستهلاك فقط، بل يشمل خطة وطريقة علمية تجعله آمناً من التلف طوال مدة الأزمة، وهو ما تعبر عنه حكمة سيدنا يوسف في قول الله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: ٤٧).

ج- عدم الإسراف في الاستهلاك: وهو المُعَبَّر عنه في قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: ٤٧)، وهي إشارة حكيمة إلى ضرورة الاقتصاد في الاستهلاك، ولذلك جعلت الموازنة بين الاستهلاك والادخار من صفات عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧).

د- وجوب تحقيق فائض يسمح بإعادة الإنتاج؛ لمواجهة متطلبات هذه السنوات وما بعدها. وقد صور القرآن الكريم هذه السنوات بأنها ﴿سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (يوسف: ٤٨)، وهو تصوير يفيد مدى شدة نهم هذه السنوات إن لم يتم التخطيط لها.

هـ- حسن استخدام الفائض في العملية الإنتاجية، وتحقيق الموازنة بين كل من الإنتاج والاستهلاك؛

hiragate.com



دخوله السجن: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٣٦-٣٧). ومن هنا بدأت سلسلة الإصلاح العقدي عند يوسف عليه السلام؛ حيث انتهز فرصة تواجهه بالسجن ليثب بين السجناء العقيدة الصحيحة، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة، والأوضاع الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام، وفي هذه الفترة، كان قد بدأ الدعوة إلى الإسلام ديانة التوحيد الخالص، وقرر أنها دين آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقررها في صورة واضحة كاملة دقيقة شاملة.

ولكن لتأمل كيف بدأ يوسف عليه السلام دعوته الإصلاحية.. أحاطهم بنفس الأسلوب الذي كان سائداً في مصر آنذاك؟ أم أنه لجأ إلى منهج خاص به كي يدخل إلى قلوب الناس؟

لم يبدأ يوسف عليه السلام دعوته لإصلاح النفوس بهدم صرح العقائد الفاسدة مباشرة، بل استعمل منهج التدرج، وذلك عن طريق التقرب أولاً إلى الشخص المراد نصحه وإرشاده قصد كسب مودته؛ حيث عمد

شخص، حتى يتمكن الجميع من الحصول على الطعام. • جعل لكل شخص بطاقة خاصة به؛ حتى يعرف من خلالها أنه حصل على الطعام، درءاً لأي فوضى.

وكان يوسف عليه السلام يستقبل الوفود بنفسه، ثم يبدأ بسؤالهم من أين أتوا ومن أي عائلة هم.. وكان يعاملهم بكل احترام وأدب ويختم بطاقتهم دون إهانة. واشترط على كل من أراد الطعام أن يأتي معه بضاعة بلده عملاً بنظام المقايضة.

بهذا الأسلوب استطاع يوسف عليه السلام أن يحل مشكلة البطالة نتيجة إعمال نظام المقايضة، فحفز الناس على الإنتاج لتصبح بذلك مصر من الدول المنتجة في تلك الفترة، كما عمل أيضاً على تشغيل الأيدي العاملة من خلال توظيف وتشكيل فرق، لفرز البضائع وتصنيفها وإعادة بيعها والاستفادة منها.

٢- الإصلاح العقدي والديني

إن انشغال نبي الله يوسف عليه السلام بالتخطيط للأزمة الاقتصادية التي حلت بأرض الفراعنة، لم يمنعه من أداء مهمته الدعوية والإصلاحية في ظل مجتمع كان يعمه الجهل وفساد العقيدة.. وعلى الرغم من مكوثه مدة في السجن، فإن هذا لم يكن سداً منيعاً لمزاولة الدعوة إلى الله تعالى وإصلاح النفوس، ويتضح ذلك من خلال إخبار الله تعالى بقصته التي يصف فيها فترة



عليه السلام في البداية إلى طمأنة هؤلاء السجناء بأنه سيفسر لهم رؤياهم انطلاقاً مما علمه ربه، وهنا إشارة قوية من يوسف، ودقة منهجية في استعمال جملة ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، حيث يؤكد على أن ما أوتيته من علم ليس من وحي خياله بل مستمد من وحي الله تعالى.

ونلاحظ أن يوسف عليه السلام كان يوجه الخطاب بصيغة الجمع عندما قال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مَلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ حتى لا يجرهم وينفرهم، خاصة وأن سياق كلامه كان موجهاً إلى "بيت العزيز، وحاشية الملك، والملا من القوم، والشعب الذي يتبعهم، وهي كياسة وحكمة، ولطافة حسنة، وحسن مدخل". ويواصل يوسف عليه السلام منهجه في الإصلاح العقدي بعدما كشف عن معالم ملة الكفر، لينتقل مباشرة إلى بيان معالم ملة الإيمان الصحيحة التي اتبعها هو وأبأؤه قائلاً: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف: ٣٨).

ويزيد يوسف عليه السلام من التقرب إلى هؤلاء الغافلين بنوع من الحلم والتلطف قائلاً: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (يوسف: ٣٩-٤٠)؛ فهو يتخذ منهما صاحبين لا عدوين من أجل إمتاعهم ومؤانستهم، وهو منهج غاية في الدقة استعمله يوسف الصديق كمدخل إلى قلوب هؤلاء، من أجل تفنيد العقائد الجاهلية الفاسدة، وبناء مقومات العقيدة السليمة، وهدم قوائم الشرك والجهل، بذلك يكون عليه السلام "قد رسم معالم هذا الدين ومقومات هذه العقيدة.. وقد استقر في اعتقاد الناس فعلاً أن الحكم لله وحده، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده والخضوع للحكم عبادة.

إن أقل ما يمكن أن نقول عن هذا الأسلوب الدعوي والإصلاحية، إنه فن من فنون الدعوة، ومنهج من مناهج الإصلاح العقدي الذي لازم يوسف عليه السلام طيلة فترته الإصلاحية.

وختاماً يمكن القول إن مشروع يوسف عليه السلام

الإصلاحية، مشروع متكامل الأبعاد، لم يعتمد فيه على التواكل، بل نهج فيه أساليب دقيقة وسار فيه بخطى ثابتة فرسم أولى ملامحه الاستشرافية في السجن؛ ليخرج به إلى الناس في صيغة متكاملة.. مشروع إصلاحية لم يتوقف عند الجانب الاقتصادي فحسب، بل جاء لإصلاح النفوس أولاً من برائين الجاهلية، ثم انتقل لإصلاح مجالات الحياة الأخرى من اقتصاد وسياسة.. إنه مشروع -أقل ما يمكن أن يقال عنه- متكامل الأبعاد. ■

(٣) كلية الآداب، جامعة أبي شعيب الدكالي / المغرب.

المراجع

(١) يوسف بن يعقوب عليهما السلام منهج جديد لدراسة قصص الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم على ضوء التحدي القرآني والتأويل المبين لوجوه الإعجاز، لأحمد عز الدين عبد الله خلف الله، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٢) سياسة التخطيط الاستراتيجي في ضوء سورة يوسف عليه السلام، للدكتور صلاح الدين محمد قاسم النعيمي، طبعة ٢٠١١م.

مدارس الخدمة وتحقيق السعادة

كُلَّمَا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي خَبِرَ
مُطَالِبَةَ السُّلْطَاتِ التُّرْكِيَّةِ بِإِغْلَاقِ
مَدَارِسِ الخِدْمَةِ فِي بَعْضِ دُولِ
المَعْمُورَةِ^(١)؛ شَعَرْتُ بِالحِزْنِ وَالْأَسَى، وَتَأَكَّدْتُ لِي
بِالمَلْمُوسِ أَنَّ الانْتِقَالَ الفَاشِلَ فِي ١٥ يُولْيُو
٢٠١٧، مَجْرَدُ سِينَارِيُو مَحْبُوكٍ لِتَصْفِيَةِ نَمُودِجِ
حَضَارِي إِصْلَاحِي هَدَفَهُ إِسْعَادَ الْإِنْسَانِ.. هَذَا
النَّمُودِجِ الحَضَارِي ارْتِضَاهُ النَّاسِ مِنْ مَخْتَلَفِ
الأَعْرَاقِ وَالثَّقَافَاتِ وَالْأَقَالِيمِ، وَنَوَّهُوا بِمَلْهَمِهِ
الأَسْتَاذُ "فَتَحَ اللهُ كَوْلْنَ"، وَاحْتَضَنُوا أبنَاءَ الخِدْمَةِ
وَأَوَّهَمَ وَنَصَرُوهُمْ رَغْمَ كُلِّ مَحَاوَلَاتِ الشَّيْطَانَةِ
وَالِاتِّهَامِ.

أَتَحَدَّثُ عَنِ مَدَارِسِ الخِدْمَةِ الَّتِي زَرْتُهَا
وَاطْلَعْتُ عَلَيْهَا كَشَاهِدِ عَيَانَ وَمَتَّبِعِ مِنْ عَيْنِ
المَكَانِ دَاخِلِ تَرْكِيَا وَخَارِجِهَا، أَوْ قَرَأْتُ عَنْهَا، أَوْ
سَمِعْتُ شَهَادَاتِ أَجْمَعَتْ كُلَّهَا عَلَيَّ أَنَّهَا مَدَارِسُ
رَائِدَةٌ فِي مَجَالِهَا، شَاهِدَةٌ عَلَيَّ غَيْرَهَا، رَاشِدَةٌ
بِأَطْرَافِهَا وَمَجْدُدَةٌ لِمَنَاهِجِهَا وَمَطُورَةٌ لِبِرَامِجِهَا.

ل



لقد استطاعت مدارس الخدمة أن تبني إنسان المستقبل بناءً شمولياً تكاملياً تجمع فيه بين الروح والعقل، بين العلم والإيمان، بين الإبداع والاتباع، بين الفكر والفعل.. كل ذلك في تناغم مع متطلبات العصر، وتوجيهات مجدد العصر الأستان "فتح الله كولن".

حراه

خاصة بالمغرب كلما زرنا مؤسسة إلا وطرحت السؤال الحارق: كيف تتعاملون مع المشاغبين والمستهترين؟ وتكاد تكون الإجابة موحدة من طرف المشرفين على مختلف مدارس الخدمة، وكانت هذه إجابة مدير مدرسة "جوشكن" بإسطنبول قال فيها: إن المؤسسة التعليمية فضاء لتحرير طاقات المتعلم، وميدان للتدرب على فلسفة الحياة، ومجال لترشيد المدركات.. وعندما تقع مشكلة ما، فإن الحوار البناء والهادئ والهادف هو السبيل لحل المشكلات، والمنهج الأصيل في التعليم والتربية، بحيث يفتح المدرس حواراً أخوياً وودياً بينه وبين المتعلم بحضور أحد الأطراف الإدارية، وتقدم في هذه الجلسة الحوارية كؤوس الشاي وبعض الحلوى، ولا يتوقف الحوار في هذه اللحظة بل يمتد إلى البيت والأسرة، حيث يتطوع المدرس بعد وقت الدراسة ليزور التلميذ في بيته ويتواصل مع والديه.

ومن القصص الجميلة التي سمعتها والتي تفتح باب الأمل، ما حُكي عن مواطنة أمريكية تتابع ابتهاج الدراسة في مدرسة من مدارس الخدمة، وكيف أنها كانت لا تحب الرجوع إلى البيت من شدة توتر علاقتها بابنتها، ولكن بعد التحاقها بمدرسة الخدمة، لاحظت الأم تحسن معاملة البنت، وعندما سألتها عن ذلك التغيير قالت لها: الفضل يرجع إلى معلمي مدرسة الخدمة. فأصبحت الأم تتمنى أن تنتهي ساعات العمل بسرعة لترجع إلى البيت وتلتقي بابنتها.

مدارس الخدمة مدارس تعاون

في كثير من الأحيان تجد المناخ السائد داخل المؤسسات التعليمية مناخ صراع وتوتر بين الأطراف



مستقبل كل إنسان متعلق بما تأثر به وانطبع عليه في طفولته وشبابه من دروس التربية والسلوك، فإن كان قد قضى طفولته وشبابه في جو إيجابي يربي المشاعر العلوية؛ توقعنا كونه إنساناً يحتذى به من الناحية الفكرية والخلقية.

والمقصود هنا بـ"مدارس الخدمة" تلك المؤسسات التعليمية والتربوية والأكاديمية، التي تنطلق من روضة الأطفال إلى الجامعة، مروراً ببيوت الطلبة وصالونات القراءة، إلى مراكز البحث العلمي ومعاهد الدراسات المتخصصة.. والتي تستلهم رؤاها التربوية وأفاقها الإصلاحية من أفكار الأستاذ "فتح الله كولن".

مدارس الخدمة مدارس سعادة

أن تكون المدرسة فضاء للسعادة يعني ذلك -بكل بساطة- أنك ربحت الرهان البيداغوجي، ودخلت إلى مصنع بناء الإنسان من أوسع أبوابه. فالمدرسة بهذا المعنى، فضاء للعتاء والأخذ، فضاء للتواصل والتفاعل، فضاء لحل المشكلات التعليمية والاجتماعية.

في ذات السياق أحكي لكم قصة عشتها في زيارة لمدارس الخدمة بتركيا سنة ٢٠١٣؛ كنت ضمن لفيف مكون من أساتذة باحثين ومشرفين على بعض المدارس الخاصة بالمغرب، ومما سجلته أن مشرفة على مدرسة

hiragate.com



إن المؤسسة التعليمية فضاء لتحرير طاقات المتعلم، وميدان للتدريب على فلسفة الحياة، ومجال لترشيد المدركات.. وعندما تقع مشكلة ما بين المعلم والطالب، فإن الحوار البناء والهادئ والهادف هو السبيل لحل المشكلات، والمنهج الأصيل في التعليم والتربية.

الإدارية والتربوية، غير أن المناخ السائد داخل مدارس الخدمة هو التعاون وخفض الجناح، والتواصل والبحث عن القواعد المشتركة، وإيجاد الحلول لكل المشكلات.. وقد أبدعوا لضمان هذا التعاون نظاماً أطلقوا عليه "نظام الزُمر"؛ فلكل تخصص زمرة ومجموعته، فلرياضيات زمرة، وللفن زمرة، وللرياضة زمرة، وللغة زمرة وهكذا دواليك.. وتكون لهم لقاءات أسبوعية خارج الدوام للتقاسم والتشارك.. وتكون لهم لقاءات شهرية على مستوى المقاطعة أو الإقليم، ودورات تكوينية مغلقة سنوية. ومما أذكره ولا أنساه؛ كيف يتعاون كل الأطراف الإدارية والتربوية بـ"مدرسة قَهْرمان رأفت" بمدينة بورصة، في تطوير أدائهم الديدانكتيكي عبر استدماج تكنولوجيا الإعلام والتواصل في التدريس والتقييم.. ولا أنسى شرح مدير المدرسة -للوغد المغربي- كيفية الاستعمال الأمثل للحاسوب اللوحي من طرف الأساتذة والتلاميذ، هذا بالإضافة إلى تجهيز جميع القاعات بالسبورة الذكية أو السبورة التفاعلية.

وهذا التعاون يمتد إلى كل الفاعلين والمؤسسات التي تحيط بالمدرسة بشكل عمودي وأفقي.

مدارس الخدمة مدارس ذكاءات متعددة

بمجرد ما تضع قدمك اليمنى بالبهو البهيج لمدرسة "العززية" بمدينة "أرضروم"؛ حتى ينشرح صدرك لما تجده من نظافة ونظام، وبشاشة وابتسام، وسكينة واحترام، وجمالية وانسجام.. ولكن ما أدهشني صدقاً

وحقاً، ذلكم الكم الهائل من الجوائز والميداليات، والشهادات والنياشين التي تحصل عليها وفاز بها الطلاب المنتسبون إلى مدرسة "العززية" في مختلف المجالات والتخصصات، على المستوى المحلي أو الوطني أو الإقليمي أو الدولي.. فمن أولمبياد الرياضيات الدولية، إلى رياضة الكاراتيه، إلى لعبة الشطرنج إلى مسابقات الاختراعات في شتى العلوم، إلى بطولة اللغات والآداب شعراً ونثراً، رواية وقصة.

قلت ما وصلت إليه مدارس الخدمة، فاق وتجاوز ما نظر إليه "هوارد جاردينر" (Howard Gardner) من ضرورة اعتبار مفهوم الذكاءات المتعددة والتخلي عن مفهوم الذكاء التقليدي في عملية التعليم والتعلم، باعتبار الذكاء ملكة لحل المشاكل أو إنتاج أمور ذات قيمة بالنسبة لثقافة أو جماعة ما.. وقد بَوَّب هذه الذكاءات إلى سبعة أبواب: الذكاء اللغوي، الذكاء المنطقي الرياضي، الذكاء الفضائي، الذكاء الموسيقي، الذكاء الحركي، الذكاء التفاعلي، الذكاء الذاتي.

لقد استطاعت مدارس الخدمة أن تبني إنسان المستقبل بناءً شمولياً تكاملياً تجمع فيه بين الروح والعقل، بين العلم والإيمان، بين الإبداع والاتباع، بين الفكر والفعل.. كل ذلك في تناغم مع متطلبات العصر، وتوجيهات الأستاذ "فتح الله كولن" الذي يقول في كتابه "الموازن": "مستقبل كل إنسان متعلق بما تأثر به وانطبع عليه في طفولته وشبابه من دروس التربية والسلوك، فإن كان قد قضى طفولته وشبابه في جو إيجابي يربي المشاعر العلووية؛ توقعنا كونه إنساناً يحتذى به من الناحية الفكرية والخلقية". ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المواش

(١) للأسف الشديد تم إغلاق المدارس المذكورة في المقال، إلى جانب أكثر من ألف مدرسة مماثلة من مدارس الخدمة في تركيا بعد الانقلاب المزعوم في ١٥ يوليو/تموز ٢٠١٧ من قبل الحزب الحاكم بدون أي مبرر قانوني، وتم طرد ما يقارب من ٢٥ ألف معلم يعملون في هذه المدارس من وظائفهم، وتم تشريد الطلاب إلى مدارس أخرى. (المحرر)

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْآشِرِ﴾

أَخْرَجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴿الأعراف: ٨٢﴾.
نعم، لقد كانت تلك هي التهمة بكل وضوح، وصدقها
القطيع بكل غباء.

"الملاء" يتوعدون ويهددون

اقترن اسم "الملاء" في القرآن الكريم بعلية القوم الذين
يتصدرون مشهد تزيف الحقائق دائماً، ويمارسون
مهمة التعمية على الجماهير، ويحشدونهم في صفوف
المواجهة، ويدفعون بهم صوب ديمقراطيتهم القديمة،
لك الحرية أن تقول ما نريد وتفعل ما نشاء!
و"الملاء" - كما هو ظاهر - ليسوا من العامة الأعمار
ولا شك، بل هم جماعة لهم قدرهم وسمعتهم ومكانتهم

على مدار التاريخ لم تتوقف دعاوى
المبطلين في اتهام الأنبياء والمرسلين
ومن جاء بعدهم من العلماء المصلحين..

ع

فالنبوة في شرعهم كذب وكهانة، والتوحيد ضلال وردة،
ووحى الله وهم وشعر، والصادق الأمين كذاب خائن
وصاحب أغراض سياسية، وله "أجندات" خفية يجب
الحذر منها. ويصل المشهد ذروته لكثرة الترويض
والتدجين أن يُصبح "الطهر" و"العدل"، و"الصدق"
و"الأمانة" في عُرفهم تهمة موجبة للحبس والقتل
والطرد. قال تعالى على لسان قوم لوط بعد أن أفحمهم
نبي الله وردّ شبههم: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا



لا تتخاضل في طريقك، ولا تخافت بدعوتك ما دمت على الحق تسير.. انثر جواهر الحق بالحكمة، واكشف زيف الباطل بالعلم، وابذل النصيحة بصدق.. فإن جاءك غاش في ثوب ناصح، أو مفتون في ثوب واعظ ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

حراه

الرفيعة، ولذا يحترمهم قومهم، ويتبعونهم، ويستجيبون لأمرهم.. وقد اختصر النص القرآني التعريف بهؤلاء "الملا"، ومهمتهم، وبيان عاقبتهم، والحكم عليهم في آية واحدة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَّجْرُمِيهَا لِيْمَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٣).

وقد عُرف "الملا" بالتصدي لدعوة الأنبياء الكرام، والتسلط عليهم وعلى المؤمنين معهم؛ فتارة يمكرون بالصالحين ليسجنوهم أو يقتلوهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَّصِلُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِلرَّدِّ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، وتارة يخيرونهم بين العودة عن دينهم، أو النفي من أرضهم على قاعدة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (إبراهيم: ١٣). وتأمل أسلوب التشكيك في الانتماء وسحب الهوية بقولهم ﴿أَرْضِنَا﴾ لا أرضكم، لتدرك حجم الإقصاء والتخوين لأهل الأرض الحقيقيين! فماذا كان الرد؟ ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم: ١٣-١٤).

ويكاد التهديد بالإقصاء وسحب الانتماء يتكرر في أساليب "الملا" دائماً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾، فماذا كان الرد؟ ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٦-٧٧).

ولا يزعم الأفاكين بعد فشل تهديدهم إلا ثبات المؤمنين، رغم الظلم والقهر والبطش والأذى.. ولا

يغبطهم أكثر من روح الثبات والتحدي عند هؤلاء، وحرصهم المستميت على مواصلة الطريق، ورفضهم كل الإغراءات، وردّهم الإساءة بالإحسان رغم تظافر العدوان.. ولسان حالهم ومقالهم: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).

وستان بين السحاب الأبيض السائر، والبئر المظلم الغائر. فهذا الرد الكريم لا يزيد "الملا" إلا تمرداً وغروراً، وتهديداً وبتشأ.. سنّة باقية تظهر في قول موسى ﷺ ومن معه لفرعون: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦)؛ جواب كريم ومنطق سليم. لكن هل يفهم منه شيء يوغر الصدر؟ وهل تراه يهدد الأمن القومي، ويحمل في طياته إرهاباً بوجه من الوجوه؟ إن الجواب يظهر في الجواب: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧). نعم، لقد كان كلام أولئك النفر من المؤمنين يحتمل ذلك كله في منطق "الملا" الرامي لإسكات صوت الحق بأي وسيلة. ألا ما أبعد المشرق عن المغرب!

يجتمعون ويخططون

على الرغم من اختلاف "الملا" الأفاكين وتعدّد مشاربهم، إلا أنهم سريعاً ما يجتمعون حين يكون العدو نبياً، أو رسولاً، أو عالماً مُصلحاً، أو دعوة قائمة، قد يختلفون في أحكامهم أول الأمر؛ فهذا يقول: ساحر، وذاك: كذاب، والآخر: كاهن.. لكنهم سريعاً ما يدركون بأن اختلاف كلمتهم يُضعف من حجّتهم، ولذا يعملون بقول السحرة الأولين قبل أن يُبصروا الحق المبين: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَصَّفُوا وَقَدْ أفلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ (طه: ٦٤)؛ فيجتمعون، وتزول خلافاتهم، ثم يصلون إلى كلمة إفك واحدة. هكذا كان، وهكذا يكون إلى قيام الساعة. عن ابن عباس ؓ قال: اجتمع إلى

على مدار التاريخ لم تتوقف دعاوى المبطلين في اتهام الأنبياء والمرسلين ومن جاء بعدهم من العلماء المصلحين.. فالنبوة في شرعهم كذب وكهانة، والتوحيد ضلال وردة، ووحى الله وهمّ وشعر، والصادق الأمين كذاب خائن وصاحب أغراض سياسية، وله "أجندات" خفية يجب الحذر منها.

حاله

على مواجهته بمفردهم، ولذا تراهم يحسبون لردود الأفعال حساباً، ويستوثقوا من غفلة الجماهير وولائها في الوقت نفسه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦)؛ مشهد قرآني عجيب لرجل "عاجز" يقال له "فرعون"، يشعر بالخوف في قرارة نفسه، ويستأذن شعبه "القوي" في القضاء على موسى، ثم يُبرر لهم دافعه لذلك القرار. ولأنه يؤمن "بالديمقراطية" في هذا الظرف الحرج أكثر من أي ظرف آخر، فهو يستشيرهم لأنه "يخاف".. لا من موسى بطبيعة الحال، بل عليهم؛ فهو -كما يعلمون- حريص عليهم، ويسعى للحفاظ على دينهم وأمنهم، واستقرارهم، وحاشاه أن يقطع أمراً يسيراً دون الرجوع إليهم، فكيف بقتل موسى؟!.

ألا رجل رشيد؟!

وتبقى في الأرض مسكة عقل تردع عن الظلم والجهل ما وجد بها رجل رشيد، وتظل مساحة التغيير مرهونة بوجود العقلاء، وأهل الرشد بمصطلح لوط الذي جاءه قومه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِي صُنْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود: ٧٨).

والرجل الرشيد ليس من العامة الأعمار ولا شك، بل له قدره وسمعته، وهو ذو مكانة دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية مرموقة، ولذا تحترمه الجماهير، تماماً كما تحترم أولئك "الملا"، ويعلمون قدر الرجل الرشيد وتُسمع كلمته كلما اقترب من صنع القرار،

الوليد بن المغيرة نفر من قريش، وكان ذا شرف فيهم، وقد حضر الموسم -أي موسم الحج- وقدم القبائل، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويُرَدُّ قولكم بعضه بعضاً، فقالوا: وأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول كاهن. قال: ما هو بكاهن، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قالوا: فماذا نقول؟! قال: والله إن لقوله حلاوة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر. ففترقوا عنه بذلك، فأنزل الله جلّ شأنه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر: ٩٢-٩٣).

ويعلو صوت إعلامهم

ليس في عُرف العامة أحد أصدق من هؤلاء "الملا"، ولا أقدر على إيقاف أولئك "الأطهار" "الأمناء" "الصادقين"، وردعهم عن غيهم، والتحذير من الوقوع في فخاخهم. ولذا سلّموا لهم مقاليد عقولهم بكل سهولة، واتبعوه دون اعتراض. يؤكد ذلك تصريح الشيطان في الخصومة التي ستدور بينه وبين أتباعه وهم في طريقهم إلى النار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم: ٢٢)؛ هكذا اعتدلت الموازين عند "الشيطان". إذن السحر، والكذب، والادعاء وعَدَّ الحق، واستحالة التهم والتصريحات الزنانية، خُلُفاً وخيانة!

إلا أن "الملا" -رغم منعتهم وقوتهم- يشعرون بالضعف، وكلما أمعنوا في الظلم والبطش والقهر ازدادوا خوفاً. إنهم يدركون ذلك في قرارة أنفسهم، يدركون أنهم كذابون مراوغون، ويعلمون صدق ما جاء به الأنبياء والمرسلون. وكلما تربّعوا عرش القيادة بلا منازع، وتسّموا صنع القرار بلا معارض، وأصبحوا في مواجهة مباشرة مع الحق؛ ازداد خوفهم ولم يقدرُوا

hiragate.com

لا عبرة بالحكم على الحقائق في دار لا يأبه أهلها بالقسط، ولا يتكلف العاقل إنصافاً بأرض لا تقام فيها الموازين. فكم فاضح في ثوب ناصح، وكاذب في ثوب صادق، وخائن يتبختر زهواً، وأمين يتوارى سرّاً.

حراه

ومهمته لا تعدو دور الكاشف للمصطلحات الزائفة التي يُطلقها "الملا" ومن سار في فلکهم، ويتحصنون خلفها لتغيب الجماهير والتلاعب بهم، ويخطئ من يظن أن على الرجل الرشيد مهمة أسمى من هذه.

لقد سمع الجميع تصريح فرعون بأنه "يخاف" على قومه من موسى، لكن لم يجرؤ على التعليق سوى رجل رشيد واحد ولّى ظهره لفرعون وتوجه لقومه ناصحاً، قال: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٢-٣٣). فلما رآهم سادرين في غيهم، مغرورين بالصلاحيات التي كفلها لهم "القانون" وفوضهم فيه الشعب؛ لم يعد عن تنبيههم قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ (غافر: ٢٩).

والحق أن موقفاً كهذا - أمام موجة الطغيان الجارف - موقف بطولي يستحق الإعجاب، ولا يقدر عليه إلا "رجال الموقف"، بحكمة وحزم وثبات. نعم، بهذه الثلاث جميعاً؛ لأن اختلال واحدة منها يعني الضياع. وكم كان توقيت ظهور هذا "الرجل الرشيد" ومنطقه رائعاً وسديداً في الوقت نفسه؛ فقد كان يكتنم إيمانه من قبل ورأى المصلحة في ذلك، حتى سمع استفتاء فرعون للجماهير في هذه القضية الخطرة التي لا يسع السكوت عليها "قتل موسى"، عندها أظهر نفسه، وسريعاً ما ظهر الحق على لسانه، بمنطق حكيم لا يسع العاقل رده، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨).

الإيواء إلى "الركن الشديد"

إذا فقد "الرجل الرشيد" فلن يُفقد "الركن الشديد"، والفارق بينهما كبير فـ"الرجل الرشيد" الحازم إنما يُستعان به لضبط الموازين المغلوطة، وإعادة تعريف المصطلحات المسمومة، وإيقاظ العقول التي أصابتها سكرة الغفلة لكثرة ما ترى وتسمع من التزييف، أما "الركن الشديد"، فهو السند الناصر الذي يُعتمد به على الدوام، ويُتوكل عليه في كل وقت، ويلجأ إليه في الرخاء والشدة.

وإذا غاب الرجل الرشيد عن ساحة المشهد - رغبة أو رهبة - فإن السند الناصر لا يغيب طرفه عين، بل هو حاضر في كل لحظة يسمع ويرى. قال ﷺ بلسان المحبة والتقدير: "يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد" (متفق عليه). نعم، ما أقرب الركن الشديد من نبي الله الصابر لوط ﷺ في ذلك الموقف العصيب. فما هو إلا أن تنهد أسفاً على قومه، وعجباً من غفلتهم وسكرتهم، وسطوتهم عليه وعلى ضيفه، ثم قال وهو يعالج الباب في وجه اندفاعهم الهمجي: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكُنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠)، حتى أذهلته المفاجأة وأدهشته القدرة.. إذ لم يكن ضيفه الذين يدافع الباب عنهم سوى ثلاثة من أشد الملائكة بأساً وقدراً: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨١-٨٣). فما أعظمه من ركن شديد لمن استجار به، وحصن منيع لمن لجأ إليه.

ومن قبل وقف نبي الله نوح ﷺ الموقف ذاته مع رعاي آخرين، انطمست عقولهم، وغارت حميتهم، وانتكست فطرتهم، حتى لم يعد يخرج من أصلابهم إلا أمثالهم. وبعد حكمة امتدت ألف سنة إلا خمسين عاماً، وصبر، ودعوة، ولين خطاب، دار هذا الحوار الأخير: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا

لقد عُرف "الملا" بالتصدي لدعوة الأنبياء الكرام، والتسلط عليهم وعلى المؤمنين معهم؛ فتارة يمكرون بالصالحين ليسجنوهم أو يقتلوهم، وتارة يخبرونهم بين العودة عن دينهم، أو النفي من أرضهم.

حراه

لقومه وإن ناصبه العدا.

لا تحزن.. يسمعها النبي الكريم، ويلمس بردها العبد الصابر، وهو يرى فجور الخصم، وصمت القريب، وقلة الناصر، ويتواصى بها الصفوة في لحظات الحرج.. حتى وهم محصورون في مساحة ضيقة من الأرض، يطوقهم فيها الأفاكون الحاقدون بأسلحتهم وحقدهم الدفين: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

واضبر

كلمة حانية أخرى أكثر تفاؤلاً، بما تحمل في طياتها من البشارة بالتمكين والفرج: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨). وإذا اقترن زوال الحزن مع تحقق الصبر؛ عظم الرجاء، وخف المصاب، واقترب الفرج جداً: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧).

اصبر ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، الدين دين الله، والأمر أمر الله، والخلق عبيد الله.. وكما لم تكن يوماً كما يقولون، فلست مسؤولاً عما يفترون، إن مرجعهم ليس إليك، وحسابهم ليس عليك، فلا تكن يوماً مثلهم، ولا تنزل من عليائك إلى دمتهم.. قد يؤذيك بهتانهم، وتجرحك افتراءاتهم.. لكنها لا تهتك سترك بل أستارهم، فلا تُنعمهم بكلمة نابية وإن كالوا لك الكلمات، ولا تُفرحهم بمذمة وإن أغرقوك بالمذمات. وكيف لا تصبر.. وصبرك لله، وباللهم، ومع الله، وأجرك

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود: ٣٢-٣٤)، لكن المستعلين الحمقى يغيظهم هذا المنطق الإيماني جداً، لذا أصدروا في وجهه التحذير الأخير: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١١٦-١١٨). لحظة ضعف وافتقار امتدت على إثرها الأيدي الكريمة الطاهرة إلى العزيز القهار: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾ (القمر: ١٠)، صوت عبد مقهور يتهدج في طبقات السماء، تطوقه وتشوش عليه أصوات قهقهة نشاز واستهزاء.. لم يتأخر معها الرد طويلاً، بل جاء حاسماً ومهولاً: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وُدُوسٍ ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: ١١-١٥).

فيا لها من قدرة! ويا له من جواب! تفجرت له في لحظة من لحظات الغضب ينابيع الأرض، وتقاطرت عيون السماء لتطفو معها جثث الأفاكين في أقل من نصف ساعة، ولتجري بعين الله تعالى ألواح الخشب المتواضعة، المسنودة بالمسامير القليلة، حاملة نوحاً ومن معه في موج كالجبال، ويتواصل الفيض انهماجاً لتغرق معظم الكرة الأرضية في الطوفان الجارف الذي غطى قُلل الجبال؛ غضباً على هؤلاء المسخ من أشباه الرجال.

فلا تحزن

كلمة حانية تحمل في طياتها الأُنس بمعية الله تعالى، وتبصر بزيف الظلم وعاقبة أهله، ويزول بها الكرب كلما عظم، ويأتي الفرج بعدما ضاقت الحيل وتقطعت السبل لشدة المكر: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النمل: ٧٠). إن حزنه "عليهم" لا منهم، ولا من قولهم وكيدهم.. وهذا دفق شفقة فياض، ومنبع رحمة غامرة لا يُدرکہا إلا الصادق في دعوته، المحب

هنالك ستُنصب موازين الحق التي لا تُحابي،
وسيقف الظالم ظالمًا، والمظلوم مظلومًا..
هنالك ستتجلى الحقائق في دار القسط،
سيتجرد الفاضح من ثوب زيفه، والكذاب عن
رداء حيفه.. ستبصر الخائن خائناً، والأمين أميناً..
كل شيء سيوضع في ميزانه، كل صغيرة
وكبيرة على حقيقتها.

حراه

على الله.. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).
الله يعلم حزنك وما خفي من أمرك، ويبصر خلجات
وجهك، واضطراب فؤادك حين تسمع تلفيقهم،
وبهتانهم، والتهم الباطلة التي يكيلونها في حقك وحق
دعوتك. إنه يعلم سرّك وسرهم؛ فهم لا يكذبونك بل
يحسدونك، يعلمون صدقك ونقاء سريرتك كما يعلمون
كذبهم وزيف باطلهم.. فاصبر على ما يقولون، وكن
خيرًا مما يظنون.. وكيف لا تصبر وقد تعرّض قبلك
للأذى أنبياء الله ورسله فصبروا؟! وكما كانت العاقبة لهم
فستكون لك ما بقيت في إثرهم، واحذر مع الصبر أن
تتكلف لهم المعاذير لإعراضهم عنك.. وإياك أن تظن
بهم الجهل فتطلب من الآيات ما تظن به بلوغ الحجة
لهم، وإقامتها عليهم؛ فهم أموات لا يسمعون، وعمي لا
يُصرون: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا
حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ
مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٣-٣٥).

واصدع

لا تتخاذل في طريقك، ولا تُخافت بدعوتك ما دمت
على الحق تسير.. اثر جواهر الحق بالحكمة، واكشف
زيف الباطل بالعلم، وابذل النصيحة بصدق.. فإن
جاءك غاش في ثوب ناصح، أو مفتون في ثوب واعظ

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤).
وهكذا فليكن مسيرك صدعًا وإعراضًا.. صدعًا بالحق،
وإعراضًا عن الباطل.. صدع بالعدل وإعراض عن
الظلم.. صدع بالفضائل وإعراض عن الرذائل.

وكن من الساجدين

إذا وجدت شقاءك ونصبك في مضمار الحياة فالجأ إلى
محراب الصلاة، وكلما ازداد الطريد في غيّه فازدد أنت
في رُشدك، وإن استطال غروره فأمرك ونهاك بخلاف ما
أراد ربك؛ فلا تطعه ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩). هذه
وصية الله لنبيك ﷺ، وهي وصيته إليك ما دمت على نهجه
تسير وهديه تترسم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا
يَقُولُونَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٧-٩٩).

إذا ضاق الصدر فبادر إلى الصلاة، وإذا تبدلت
النفوس وتغيرت المفاهيم فلا أحلى من السجود.
لن تجد لك مؤنسًا أرحم بك من الله، فاقطع الرجاء
فيمن سواه، فهو أعلم بك وأرحم، وتذكر وصيته
الأخرى كلما ضاقت بك الأمور: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ
الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ
كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ
يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ
صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٧٨-٨١). نعم، هذا شأن الباطل إذا
ظهر الحق زهوق لا بقاء له. فلا تُشغل نفسك بأمره إذا
انتفش، ولا يُقلقك رده إذا انتشر.. فبزوغه عنوان أفوله،
وصعوده دليل نزوله.

فارتقبهم واضطر

لا عبرة بالحكم على الحقائق في دار لا يابه أهلها بالقسط،
ولا يتكلف العاقل إنصافًا بأرض لا تُقام فيها الموازين.
فكم فاضح في ثوب ناصح، وكاذب في ثوب صادق،
وخائن يتبختر زهواً، وأمين يتوارى سرًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿وَإِذَا مَرُّوا
بِهِمْ يَتَعَامَزُونَ﴾ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ (المطففين: ٢٩-٣٢).
سنة ماضية تقول: "إن العبد الضعيف لا يملك
تصريف قلبه، فكيف بقلوب غيره؟" ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ
هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، ﴿إِنَّكَ لَا
تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦). وسنة باقية لا تقل عنها ثباتاً
ومضيّاً. لا تعجل، فميزان الله تعالى في المعاملة ليس
كميزانك: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (مریم: ٨٤).
إنه يملي للظالم ويغدق عليه: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام: ١١٠). إن الظالم كلما نسي ازداد عتواً،
وتفتحت أمامه الأبواب، وتعالصت أصوات الجماهير
بالتصفيق: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُمْبِلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤).

ذلكم هو الاستدراج - عياداً بالله - إغواء يعقبه إملاء،
يفقد معها المحرم صوابه، ويخطئ حسابه: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ
لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

إِن إِلَيْنَا يَأْتُهُمْ

في غمرة الدهول ينسى المحزون، ومع شدة الكرب
تطيش العقول، وفي طيات الألم لن تجد مؤنساً في
غير التسليم والرضى.. ربك ربك، لا ملجأ إلا إليه،
ولا مُعتمد إلا عليه، منه المبتدأ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
الْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢). فاعرف قدرك في لزوم أمره، ولا
تصرف همّتك في غير رضاه. إذا وجدته فماذا فقدت؟!
وإذا فقدته فماذا وجدت؟! ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ
لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨). إن ذهب كل
عَرَض، وزال كل سبب، ولا يزال قلبك قلبك فلماذا
الأسف؟! ما هي إلا أيام وتلبي النداء كما يليه غيرك:
﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦٢).

هنالك ستُنصب موازين الحق التي لا تُحابي،
وسيقف الظالم ظالمًا، والمظلوم مظلومًا.. هنالك
ستتجلى الحقائق في دار القسط، سيجرد الفاضح من
ثوب زيفه، والكذاب عن رداء حيفه.. ستبصر الخائن

خائناً، والأمين أميناً.. كل شيء سيوضع في ميزانه، كل
صغيرة وكبيرة على حقيقتها.. ما عملت لله وما عملت
لسواه.. ما شئدت لأجله، وما شئدت لغيره.. ولن
تُخطئ المنظر العجيب في ذلك اليوم الرهيب: ﴿يَوْمَ هُمْ
بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا
ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (غافر: ١٦-١٧). سوف
يستقيم الميزان تماماً في ذلك اليوم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا
مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿ هَلْ
ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٣٤-٣٦). قضي
الأمر، وقُطع ﴿ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥). ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، ﴿إِلَى
اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ
بِمُصَيِّرٍ﴾، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.. حقائق تعلمها في هذه
الدار يقيناً، وسوف تبصرها هناك يقيناً.

ويصل المشهد ذروته مع القطيع الذي فقد عقله،
وفقد دينه.. يتبادلون النظرات، ويتلفتون يمينا وشمالاً،
ثم يتساءلون باستغراب: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا
نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿ أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ﴾ (ص: ٦٢-٦٣). يا لها من غفلة تورث حسرة. لقد
كانوا يعتقدون - لكثرة ما يسمعون - بأن هؤلاء الأعمار
على شقاوة وضلالة.. فلما دخلوا النار افتقدوهم، ولم
يجدوهم.. ولسابق الغفلة يتساءلون: ما لنا لا نرى أولئك
"الأشرار" معنا في النار؟ أم لعلهم في جهنم، ولكن لم
يقع بصرنا عليهم؟! وما هو إلا قليل حتى تزول الغفلة
وتدوم الحسرة، ويسمعون صوت أولئك ينادونهم من
الدرجات العاليات: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ
النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٤).

هنالك تنجلي الغفلة، وهنالك تزيد الحسرة، وتستبين
الحقيقة، ويعلمون: ﴿مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرَارِ﴾. ■

© المشرف العام لمركز رؤية الثقافي بـ"مكة المكرمة" / المملكة العربية
السعودية.



مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار النبيل
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

الإخراج الفني
أحمد شحاتة
ياووز يلمز

منسق الاشتراكات

علاء الكوابري
+201000780841
+201023201002

نوع النشر

مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة

دار الجمهورية للطباعة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألّفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصاً واختصاراً.
- المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصرياً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

EGYPT

٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد - الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة.
هاتف: +201091242075 - +201119482609
hiragegypt@gmail.com

ALGERIA

Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

NIGERIA

.Nusret Educational And Cultural Co. Ltd
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

IRAQ

Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000

USA

Tughra Books
Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA 345
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211

EUROPE

World Media Group AG
Spredlinger Landstrabe 107-109
63069 Offenbach a. Main / Germany
Phone: 069 / 300 34 130
Fax: 069 / 300 34 105
dergiler@wmgag.eu

www.daralnila.com

موسوعة مأثورة من أدعية سيد المرسلين وكبار الأولياء الصالحين



صدر حديثاً

نسخة مزينة ومنقحة

مركز التوزيع: دار النيل للنشر | sales.daralnila@gmail.com

مراكز البيع الإلكتروني: www.souq.com | www.neelwafurat.com

Tel.: +202 25379391

Mobile: +2 01023201002 - +2 01023201001

www.daralnila.com



للبلّى تركناه

رميناه - لأنّ كل قديم يُرمَى - فبلى..
لو كان وحده الذي تركناه للبلّى!

المملكة العربية السعودية: ١٢ ريالاً سعودياً • الجزائر: ٢٥٠ ديناراً • أوروبا: 5.30 € • USA: 5 \$

